جمال عبد الناصر

بين

خصوم وأنصار

إعداد

محمود علي حسن السوداني

اعداد
محمود علي حسن السوداني

الاسكندرية

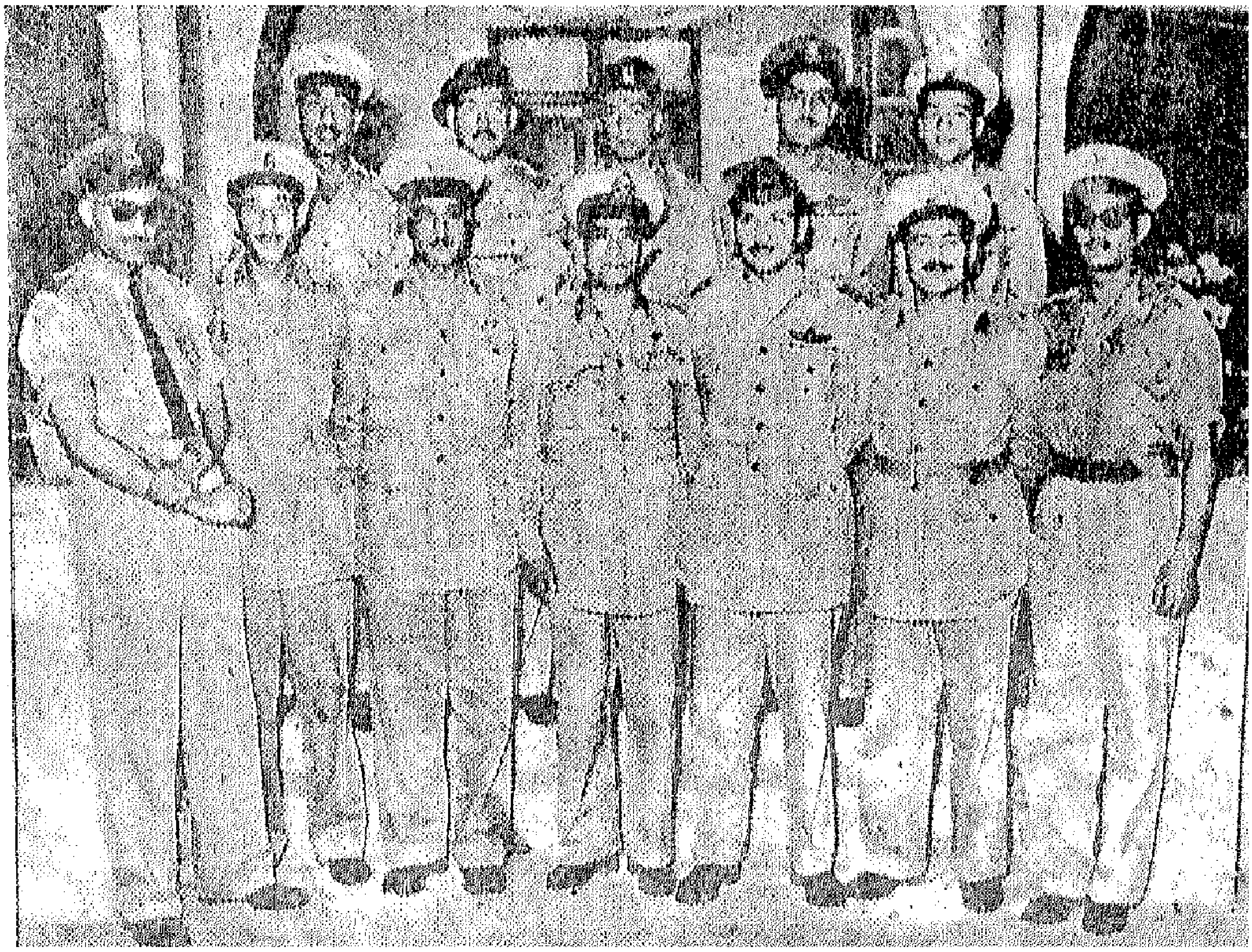

أول صورة نشرت لرجال الثورة المصرية عام ١٩٥٢

صورة تاريخية لجمال عبد الناصر ..
ولفيف من قيادة مجلس الثورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الكتب التى صدرت عن جمال عبد الناصر فى حياته .. وبعد وفاته لا تعد ولا تحصى . ولقد وفقنى الله إلى قراءة ما كتب عن جمال عبد الناصر فوجدت ما يثير الدهشة والاستغراب !!

هذه الكتب جميعها .. إما نقد وهجاء .. وإما مدح وثناء .. كل كاتب كتب حسب ما يمليه عليه شعوره وعواطفه نحو عبد الناصر من وجهة نظره !!

من هؤلاء الكتاب والأدباء من أحب عبد الناصر .. فكتب عنه ووصفه أنه .. الزعيم العظيم .. والملاك الرحيم الذى أرسله الله رحمة لمصر والمصريين .. بل للعرب أجمعين .. وأنه ما كان ينطق عن الهوى .. إن هو إلا وحى يوحى .. وأنه كالملائكة المقربين .. والأنبياء المرسلين !!

ومن هؤلاء الكتاب والأدباء من هو غاضب على عبد الناصر ناقداً له فوصفه أنه كان كالأبالسة والشياطين .. وأنه تفوق فى ظلمه وطغيانه وجبروته واستبداده على الطغاة الآثمين .. والدكتاتوريين الذين يضرب بهم المثل فى .. البطش والقسوة والظلم والطغيان !!

فهو قد طغى وتجبر أكثر من .. نيرون الطاغية .. والحجاج بن يوسف الثقفى .. وكلاهما حقت عليه اللعنة والعذاب !!

وكلا الرأيين خطأ .. فالإنسان أى إنسان له حسناته وسيئاته .. وله خيره وشره وليست جميع أعماله حسنات .. أو كل أعماله سيئات .. هكذا يقول علماء الدين .. وعلماء النفس .. وعلماء الاجتماع .

وهذا هو « القرآن الحكيم » كتاب الله يؤيد هذا الرأى رأى هؤلاء العلماء .. يقول الله تعالى .. « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء » .. ويقول أيضاً « .. ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » .. وأيضاً « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

***

وفى هذا الكتاب .. «جمال عبد الناصر .. بين خصوم وأنصار » ألخص الكثير عما كتب عن عبد الناصر .. من خير وشر .. ومن محاسن ومساوىء .. وأنا بعيد كل البعد عن التحيز والمحاباة أو الكراهية والعداء .

وبالله العون والتوفيق ؟

محمود على حسن السودانى

جمال عبد الناصر

وهل هو القائد الحقيقي لثورة ٢٣ يوليو
القائلون.. لا .. والقائلون .. نعم

ثورة ۲۳ يوليو . . هذه الثورة التاريخية الكبرى التي غيرت مسير التاريخ فى جمهورية مصر العربية !!

من هو أول من فكر فى هذه الثورة ؟ ؟ وقام بالإعداد والتنفيذ لها ؟ ؟..

من هو القائد الحقيق لها . . أهو .. «جمال عبد الناصر» أم غيره ؟؟ ..

ويرد على هذا السؤال . . أربعة من كبار السياسيين والعسكريين . .

الأول : وهو سياسى مخضرم . . ومؤرخ قديم . . له جهاده ونشاطه السياسى الكبير . . وله تاريخ حافل . . وكفاح مرير .. وهو أول من نادى هو وأعضاء حزبه « مصر الفتاة » . . الحزب الاشتراكى . .

نادوا بالاشتراكية . . وتحديد الملكية ٠٠ ومحاربة الاستغلال والفساد ٠٠ ونقد الملك والعيب فى ذاته المصونة !!

ذلك هو ٠٠ الأستاذ أحمد حسين ٠٠ وهو من القائلين ٠٠ لا ٠٠ إن جمال عبد الناصر لم يقم بثورة ۲۳ يوليو ٠٠ وإنما ركب موجة الثورة !!

وأن جمال عبد الناصر ما ظهر وتقدم إلا بعد أن رسخت أقدام الثورة

واستتب الأمن . . واستقرت الأمور . . ونضجت الثمرة . . فقام وأسرع باختطافها !!

* * *

والثانى . . هو أيضاً من الضباط الأحرار الذين زاملوا جمال عبد الناصر ثم اختلفوا معه فغضب عليه عبد الناصر غضباً شديداً . . وأمر باعتقاله وسجنه . . انه (لطفى واكد) . . وهو يقول :—

(نعم .. إن جمال عبد الناصر . . هو القائد الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو . .)

* * *

والثالث والرابع . . إثنان من الضباط الأحرار الذين شاركا جمال عبد الناصر فى ثورته وحكمه ثم اختلفا معه . . واشتركا فى نقده فى كتاب .. « الصامتون يتكلمون » .. وهما (حسن ابراهيم وكمال الدين حسين) .. انهما يقولان .. نعم .. إن جمال عبد الناصر هو الذى قام بثورة ٢٣ يوليو . .

ولنقرأ معاً .. آراء هؤلاء فى السطور التالية !! ..

(هـذه شهادتى أمام الله والتاريخ)

يقول الأستاذ أحمد حسين : — أبادر فأقول بين يدى شهادتى عن دور « جمال عبد الناصر فى ثورة ٢٣ يوليو » . . انني لمدين بعد الله لهذه الثورة

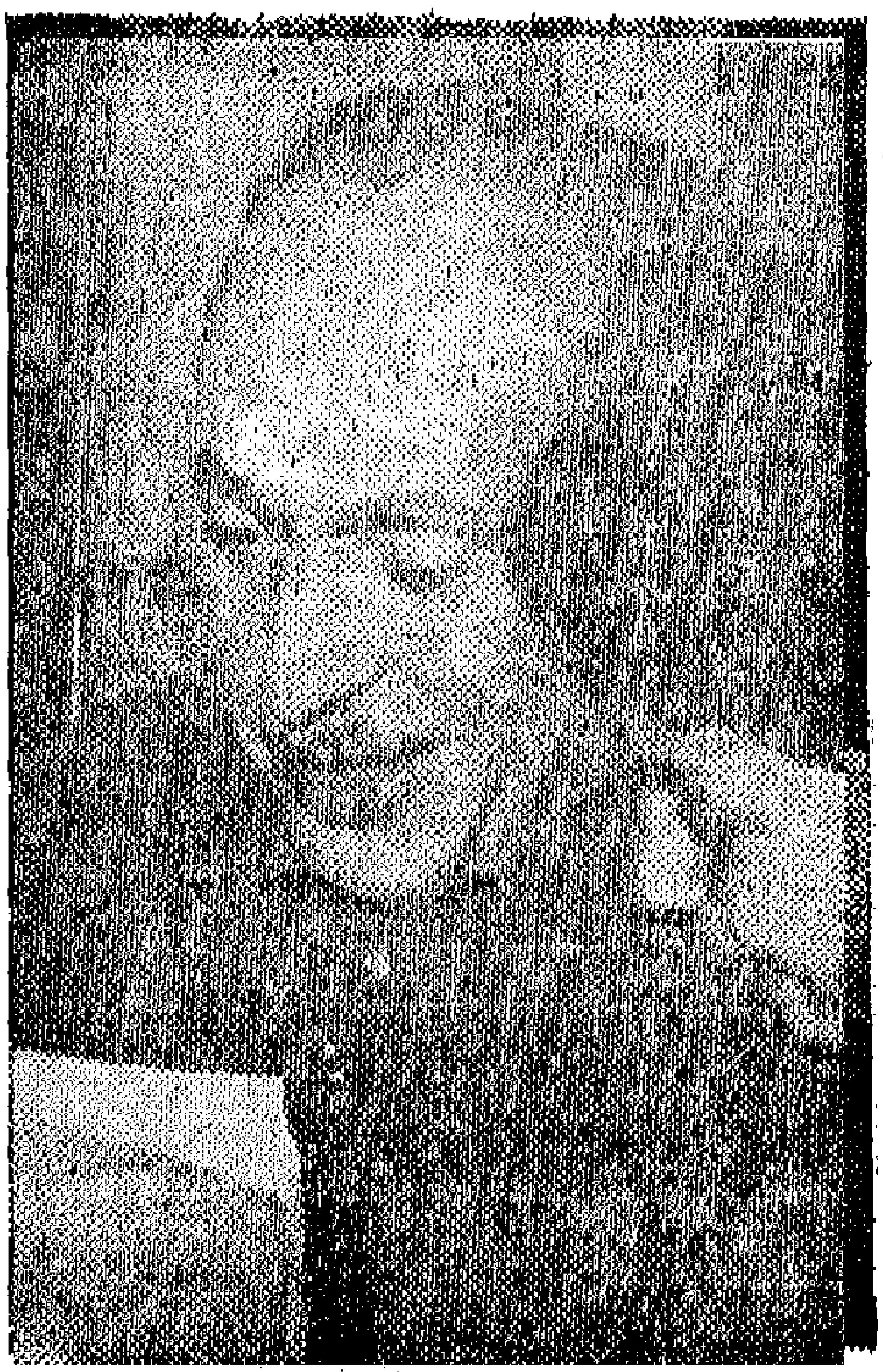

بحياتى ومدين بإطلاق حريتى بعـد ذلك لجمـال عبد الناصر شخصياً . .

وقد حمـانى طول حياته من زبانية جحيمه الذى أقامه فى مصر وعاش يقول إننى أستاذه الذى أدخله السياسة وقال لى أنا شخصياً : « لو لم يكن أحمد حسين لمـا كان جمـال عبـد الناصر » ! !

وعندما مرضت بالشلل أرسلنى بدون طلب منى أو من أحد من أسرتى للعلاج فى لندن ! !

وهـكذا يداينني جمال عبد الناصر مادياً وأدبياً بإنقاذى من الإعـدام بمجرد قيام الثورة . . فقد أعد الملك السابق كل شىء لإزهـاق روحى بتهمة « حرق القاهرة » وأعد محكمة عسكرية خصيصاً لذلك فلم ينقذنى من حبـل المشنقة سوى قيام الثورة ! !

أما الدين الأدبى فيتلخص فى أنه وهو عـلى رأس ثورة ٢٣ يوليو قد

أثبت أنني لم أكن مجنوناً ولا معتوهاً عندما وصفت الملك أنه «رئيس عصابة» ودعوت إلى وجوب التخلص منها . . بوللى . . كريم ثابت . . الياس أندراوس . . ينبغى تخليص مصر من هذه العصابة !! . .

وفى المقال ما يفيد أن الملك هو رئيس هـذه العصابة !! فعندما تقدمت ثورة ٢٣ يوليو بأول مطلب لها . . وكان يتلخص فى إبعاد هذا النفر . . دل ذلك على أننى كنت على حق . . وزاد الأمر تأكيداً عندما استبعدت الثورة بعد أيام ثلاثة رئيس العصابة . . وهو الملك بالذات !! . .

وعندما دعونا إلى إلغاء الألقاب . . وتحـديد الملـكية الزراعية بخمسين فداناً . . وقوانين العمل الجديدة . .

وأخذت هذه الاقتراحات شـكل مشروعات وقوانين قدمها ممثلنا فى مجلس النواب أخى الأستاذ إبراهيم شكرى . .

فلما أن استهلت الثورة أعمالها بإلغاء الألقاب .. وأقامت الدنيا وأقعدتها توصلاً لتطبيق ما أسمتـه بالإصلاح الزراعى . . كانت فى ذلك ترفع من شأننا وتثبت أننا عندما تكلمنا فقد تكلمنا بضمير هذا الشعب . .

وإننى كما قدمت لم أكن مجنوناً ولا معتوهاً كما تصور الكثيرين يومئذ !

وهكذا يتبين كم أنا مدين لثورة ٢٣ يوليو ولجمال عبد الناصر شخصياً . . وأنا لا أدخر وسعاً فى كل ما أقول أو أكتب فى الاعتراف بهـذا الدين ليهى عليه من يشاء أن يبنى فى تقييمه لعبد الناصر .

« هذا هو دور عبد الناصر »

« وهذا دور الذين خاطروا بحياتهم »

« لتقوم ثورة ٢٣ يوليو »

إذ أكتب ما أكتب فلست أكتب كسياسى يهدف إلى هـذا الشىء أو ذاك .. وانما أحاول أن أكتب بروح المؤرخ الذى يحاول جاهداً أن يكون متجرداً أو إذا كان التجرد مستحيلاً . . فلا أقل من الحياد . .

وقد لاحظ ذلك كل من عاصرونى قبل ثورة يوليو . . وذلك فى كل ما أكتب . . فقد اشتهرت قبل الثورة أنى على خلاف مع الأحزاب القـديمة كلها . . سواء منها حزب الأغلبية .. أو حزب الأقلية .. كما كنت على خلاف مع « الإخوان المسلمين » فى التـكتيك .. وليس فى الاستراتيجية كما يقولون هذه الأيام ! !

وأنا على اختلاف جذرى مع الأفكار الماركسية . . ومع ذلك فقد لاحظ من يطالعون مقالاتى عن ثورة ٢٣ يوليو اننى أذكر كل هذه الهيئات والتجمعات بروح التعاطف والود . . ذلك أن ثورة ٢٣ يوليو ما كانت لتكون لولا هذه الجهود المشتركة التى أسهمت فيها كل هـذه الأحزاب والهيئات كل بأسلوبه وإمكانياته ! !

فقد كان باستطاعة الملك . . وقد كان بالاسكندرية . . وكانت حكومة الهلالى كلها فى الاسكندرية ! !

وكان فى الاسكندرية قسم كبـير من الجيش . . كما كان هناك « الحرس الملـكى » وكان هناك الانجليز بكل ثقلهم . . وكان يسعدهم أن يتلقوا إشارة كبيرة من الملك لـكى يبادروا باحتلال القاهرة . . وينتهى كل شىء ! !

ولكن دبابات الجيش لم تكد تظهر فى القاهرة حتى التف حولها الشعب بمظاهر الابتهاج الجنونى .. وغنى عن البيان أن ذلك كله كان هو أثر الأحزاب والهيئات والصحف .. وأسرع نجيب الهلالى رئيس الحكومة فقدم استقالته .. ولو أنه وقف إلى جوار « فاروق » ولو يوماً واحداً .. لما علم سوى الله ماذا يمكن أن يحدث ؟ !

ولكن بمجرد أن أذاع « أنور السادات » بيان الجيش .. وعلم من البيان أن « اللواء محمد نجيب » على رأس هذه الحركة .. حتى بادر نجيب الهلالى بالاستقالة !!

وفجأة وجد فاروق نفسه وحيداً .. ووجد الجيش يقترح تعيين « على ماهر » رئيساً للوزارة .. وعلى ماهر فى نهاية الأمر أحد رجاله الذى كان هو من أشرف على تنصيبه « ملكاً » .. فتصور أنه بتعيين على ماهر رئيساً للحكومة .. واللواء محمد نجيب على رأس الجيش .. وهو اقتراح قديم عرضته عليه حكومات سابقة .. بعد أن ثبتت قوة محمد نجيب فى الجيش ..

فتصور الملك الغر أنه بتعيين اللواء محمد نجيب قائداً عاماً للجيش تنتهى كل هذه « الدوشة » .. ولم يدر أنه بهذا العمل قد كتب صك نهايته !! ..

فقد أصبح الجيش بقضه وقضيضه خلف محمد نجيب الذي أصبح بقدرته أن يحرك كل جيش مصر وشعبها فى ذات الوقت ..

أما على ماهر فكان قد تحول إلى كتلة من الحقد والكراهية ضد فاروق .. بحيث كان أسعد الناس عندما تلقى من « أنور السادات » إنذار الجيش معبراً عن إرادة الأمة الإجماعية بأن يتنازل عن العرش ويغادر البلاد !!

« ركب الموجة »

هذه كلها حقائق ثابتة يعرفها كل مصرى عاصر هذه الأحداث .. وقد كان المتكلم باسم الجيش فى هذه الفترة الحاسمة هو .. اللواء محمد نجيب .. والبكباشى أنور السادات .. وكلا الرجلين معروفاً بجهاده وولائه ووطنيته ..

وإذا كانت حركة الجيش الأولى فى القاهرة قد قام بها .. «يوسف صديق» .. فان قطاعات الجيش التى تحركت فى الاسكندرية بأمر شرعى هذه المرة كانت بقيادة « زكريا محيى الدين » وكان الذين وقفوا يودعون الملك هم : محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى !!

والذى يعنى التاريخ والحقائق أن جمال عبد الناصر لم يظهر على مسرح الحوادث فى ذلك كله .. بل أن أحداً فى الجيش « سوى العدد المحدود جداً جداً » .. من كان يعرف أنه ضالع فى شىء من ذلك كله .. فأنا عندما أقول عن جمال عبدالناصر بأنه ركب الموجة .. فأنا لا أتجنى عليه فضلاً من أن أحاول الغض من شأنه !!

« جمال عبد الناصر الحاكم »

فأنا لا أتعرض من الآن لجمال عبد الناصر الذى حكم مصر حكماً مطلقاً طوال خمسة عشر عاماً .. فتلك قضية أخرى قد سجلها التاريخ بحلوها ومرها وانتهى الأمر !!

سيقول عنه التاريخ : أنه خلع الملك .. وأخرج الإنجليز .. وأمم قناة السويس .. وأنشأ السد العالى ..

وسيقول التاريخ أيضاً .. وفى أخريات حياته احتل الإسرائيليون سيناء

وعطلوا قنـاة السويس إلى أن أعاد فتحها أنور السادات بعد ست سنوات.

.. وعادوا لاحتلال القدس مرة أخرى .. وما زالت محتلة باليهود بعد أن كانت قد عادت إلى المسلمين من الصليبيين منذ أيام صلاح الدين !!

وإذا كانت هذه الخطوات ليست على نزاع .. فثمة قضايا أخرى ستظل مجالاً للجدل .. كحرب اليمن . والتطبيق الاشتراكي وانتشار الأمية .. وديون مصر المخيفة للاتحاد السوفيتي . وما جرى فى أيامه من وقائع تعذيب تجاوزت كل معروف ومألوف « حتى بالنسبة لفنون التعذيب » !!

كل ذلك لا يعنينى فى هذه المرحلة من كتابتى .. فليعتقد من يشاء فى جمال عبد الناصر الحاكم .. وإنما أتحدث عن مصر قبل الثورة وساعة قيامها وأن قدرة عبد الناصر الفائقة الحد .. كانت فى استطاعته وهو أقل الجميع جهداً ومخاطرة من أى نوع كان أن يتفوق على الجميع .. وأن يزيح الجميع وأن يتخلص منهم وأن ينفرد بالسلطة المطلقة !!

فإذا سأل سائل وما جدوى الحديث فى ذلك كله فأقول لأننى لست مستعداً للتنازل عن إيمانى الذى عشت به طول عمرى بهذا الشعب . لست مستعداً أن أقول كما حاول القائلون إن جمال عبد الناصر هو صانع ثورة ٢٣ يوليو !!

اننى لو سلمت بذلك لألغيت حتى بل لألغيت وجودى !! ومن هنا قلت فى عبد الناصر إنه « ركب الموجة » وهو تعبير جميل رقيق .. لا أدعى لنفسى فضل صياغته .. وإنما استعمله الميثاق وصفاً « لسعد زغلول » ودوره فى ثورة سنة ١٩١٩ !!

وأن هذا الوصف إن صح .. فهو ينفع لتصوير دور عبد الناصر فى ثورة ٢٣ يوليو .. ومرة أخرى أذكر بأن لا شأن لى بأهمية أو خطورة أو عظم، شأن الدور الذى قام به عبد الناصر بعد أن قامت الثورة .. وأصبحت واقعاً جديداً . وإنما أتحدث عن دوره قبل قيام الثورة !! ..

سجنني عبد الناصر فى ليمان طرة
ومع ذلك أشهد أنه كان قائد ثورة ٢٣ يوليو !!

كاتب هذا المقال لطفى واكد أحد الضباط الأحرار . وقد حكم عليه الدجوى فى سنة ١٩٦١ بالأشغال الشاقة خمسة عشر عاماً . ودخل ليمان طرة وأفرج عنه إفراجاً صحياً . . وأصدر الرئيس السادات قراراً بإلغاء هذا الحكم فى ١٦ مايو بعد ثورة التصحيح .

وكانت تهمة لطفى واكد الاتفاق الجنائى لقلب نظام الحكم بالقوة المسلحة وكان قد أصدر منشوراً طالب فيه بالديمقراطية . . وبإنهاء الديكتاتورية !!

* * *

طالعتنا جريدة الأخبار فى عدديها الصادرين بتاريخ ٧ / ١٢ / ١٩٧٥ ، ٢١ / ١٢ / ١٩٧٥ بمقالين للأستاذ « أحمد حسين » الذى أحمل له منذ شبابى تقديراً واحتراماً . . وأن ملاحظاتى على الشهادة التى يقدمها أمام الله والتاريخ لا تعنى أى شك فى صدق نواياه وإنما هى تصحيح لمعلومات تورط المؤلف فى تصديقها !! . .

انني لست محامياً لعبد الناصر ولا متحاملاً عليه . . بل من موقع المشاركة والمسئولية فى ثورة ٢٣ يوليو أقدم شهادة العدل للتاريخ . . فلا الصداقة ورفقة السلاح وزمالة النضال تدفعنى لمحاباته على حساب الحقيقة . . ولا الاضطهاد الذى تعرضت له أثناء حكمه يدفعنى للتحامل عليه بعد أن مات وانتهى سلطانه وأصبح فى ذمة التاريخ . . بل الأمانة تقتضى بأداء شهادة الحق التى هى فرض عين على كل مسلم !!

يقول الأستاذ أحمد حسين أن عبد الناصر ركب موجة الثورة .. ويستند إلى ذلك بقوله : إن مصر لم تكن تعرف عنه شيئاً حتى بعد قيام حركة الجيش !

وغاب عن الأستاذ سؤال بديهي : كيف يمكن أن تنظيم سرى فى القوات المسلحة يستهدف الإطاحة بالنظام الملكى وبالإحتلال البريطانى .. وبالنظام الاجتماعى .. ويكون رئيس هذا التنظيم معروفاً للناس جميعاً ؟!! ..

(الذين ساهموا فى الثورة)

ثم يقول الأستاذ المؤرخ .. إذا كانت حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد نجحت فقد تم ذلك على أيدى أشخاص كثيرون منهم جمال عبد الناصر وإذا كانت بعض عناصر الجيش قد استجابت لها فى الساعات الأولى وذلك لعلمها أن محمد نجيب على رأسها .. وإن كان ثمة إنسان خاطر بكل شىء فهو « أنور السادات » الذى أذاع البيان .

والمسألة ليست بهذه البساطة .. فالحقيقة أنه إذا كانت حركة الجيش قد نجحت فإن الفضل يرجع للضباط الأحرار جميعاً الذين شاركوا فى بناء التنظيم الذى أسسه جمال عبد الناصر والذين خرجوا فى تلك الليلة التاريخية مخاطرين بأرواحهم من أجل شرف مصر وحريتها فى حركة بطولية لم يكن هنالك أى ضمان لنجاحها . وقد ساهم كل منهم بقسط فى شل قيادة الجيش الملكى .. واعتقال كبار ضباطه .. والسيطرة على وحداته .. والاستيلاء على المواقع الاستراتيجية الهامة !!

وباحتلال قيادة الجيش أمكن استدعاء اللواء محمد نجيب من منزله وتكليفه بالدور المحدد له !!

ويدلل الأستاذ أحمد حسين على تصوراته لوزن الضباط الأحرار فيقول :

أنهم لم يلجأوا إلى كتابة المنشورات إلا بعد أن اعتبروها العمل الوحيد الذى يتنفسون به عن عواطفهم !!

وقد ثبت ليلة ٢٣ يوليو أن المنشورات لم تكن سوى جانب من نضال الضباط الأحرار !!

فلقد كانت أحداث تلك الليلة نتاجاً هاماً لكفاح شاق محفوف بالمخاطر قام به عبد الناصر فى سنوات تهيئة مستهدفة الظروف المناسبة للقيام بعمل ثورى يحطم النظام المعادى للشعب . وكانت أجهزة التنظيم والقيادة الواعية !!

ولقد كرس عبد الناصر كل جهده فى تكوين التنظيم وتجاهله الدور التاريخى الذى قام به .. لقد وازن بعبقريته بين الدافع بفصائل من هذا التنظيم فى عمليات ثورية محدودة . . وبين الدعوة له فى صفوف الضباط لنشر رأى عام متعاطف مع أهدافه ·· وبين الحفاظ على أمنه !!

يبنى الأستاذ المؤرخ استنتاجه لثانوية دور عبد الناصر فى الثورة على أن اسمه لم يظهر فى الصحف فى الأيام الأولى .. ولم يكن بين الذين وقفوا يودعون الملك عند رحيله فى الاسكندرية .. ينتهى إلى أن الذى يعني التاريخ والحقائق أن جمال عبد الناصر لم يظهر ع مسرح الأحداث بل أن أحداً من الجيش سوى العدد المحدود جداً من كان يعرف أنه ضالع فى شىء من ذلك كله ثم يلخص مرة أخرى إلى أن عبد الناصر ركب موجة الثورة !! . .

و يبدو من مقالتى الأستاذ أحمد حسين أنه يتلطف باستخدام هذه العبارة

. . وأنه يحوم حول تعبير آخر لم يذكره صراحة وهو أن عبد الناصر سرق الثورة من صانعيها الذين تحملوا المخاطرة . . وللحقيقة والتاريخ فان جميع الضباط الذين خرجوا فى ليلة ٢٣ يوليو قد تشاركوا فى تحمل المسئولية ولو فشلت الثورة فى تلك الليلة التاريخية فان أجهزة الأمن الملكية والاستعمارية ما كانت لتستمد معلوماتها من الصحف بل كان من الطبيعى وَالمنطقى أن تتعقب كل ضابط ممن شاركوا فى التمرد . . ومن البديهى أن يكون هدف السلطة الرئيسى هو اصطياد القائد الذى تحرك الجميع بأوامر منه . . والذى كان عبد الناصر !!

فى معرض التعليق عن دور عبد الناصر فى حركة الضباط الأحرار يقول الأستاذ المؤرخ : إن عدداً محدوداً يعد على الأصابع اتصلوا بى أثناء إعداد الفرق والكتائب المسافرة إلى فلسطين . . والتى اشتركت فى المقاومة ضد الانجليز . . وأن أغلب هؤلاء الضباط لم يكونوا يعرفون دور جمال عبد الناصر !!

أما فيما يتعلق بكتائب فلسطين . فان تشكيل الضباط الأحرار لم يتكون إلا فى عام ١٩٤٩ أى خلال حرب فلسطين وفى أعقابها . . وأما التنظيمات الأخرى التى وجدت بالجيش قبل ذلك وهى التى كان ينتمى إليها جمال عبد الناصر . فهى غير تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بثورة ٢٣ يوليو !!

ومن هنا . . فان الضباط الأحرار الذين اتصلوا بالأستاذ أحمد حسين فى أوائل عام ١٩٤٨ وكنت أحدهم . . لم يكن لهم علاقة تنظيمية بجمال عبد الناصر . . هذه حقيقة !!

ولكن لعل الأستاذ المؤرخ يتذكر أننى عاودت الاتصال به أثناء المقاومة

ضد الانجليز فى عام ١٩٥١ ممثلا لتنظيم الضباط الأحرار .. ومن الطبيعى أننى كنت موفداً من قبل قائد التنظيم الذى كنا نحرص جميعاً على إخفاء إسمه وهو جمال عبد الناصر !!

وقد حدث نوع من التنسيق المحدود من الضباط الأحرار .. وبين كتائب مصر الفتاة . كما حدث مع باقى الكتائب الأخرى التى كانت تمارس الكفاح المسلح فى القنال .

وقد كون عبد الناصر مجموعة خاصة من الضباط الأحرار للقتال ضد القوات البريطانية من وراء ظهر السلطة الحاكمة . وكان هو الذى يشرف عليها وعلى عملياتها . وأن حرص الثوار على أمن قائدهم والتكتم على اسمه هو من أول بديهيات العمل الثورى السرى الناجح !!

(طلب الاستعانة بالانجليز)

يتحدث الأستاذ والمؤرخ عن تقصير الباشوات السابقين فى مناصرة الملك وفى عدم توجيهه للاستعانة بالانجليز وأثر ذلك على نجاح الثورة !!

فيقول : وكان الانجليز بكل ثقلهم . وكان يسعدهم أن يتلقوا إشارة صغيرة من الملك كى يبادروا باحتلال القاهرة . وينتهى كل شىء !!

وأنى أعترض على هذا الاستنتاج . المسألة لم تكن بهذه البساطة !! فمن غير المعقول أن قوات الاحتلال البريطانية كانت تربط بين التدخل .. وبين إشارة صغيرة من الملك .. فان الاستراتيجية البريطانية لم تكن لتتحدد بشكلية بسيطة كالتى يعرضها الأستاذ أحمد حسين فى شهادته — لم يكن عدم التدخل فى حقيقته إلا تقديراً مدروساً لعواقبه !!

والحقيقة والتاريخ فإن أوامر عبد الناصر المبكرة كانت تقضى باشتباك القوات المصرية فى منطقة القنال مع القاعدة البريطانية إذا حاول الانجليز احتلال القاهرة !!

ولو حدث ذلك فمن المؤكد أن جماهير القنال والشرقية كانت ستشارك القوات المصرية فى المعركة . . وكان الضباط الأحرار فى منطقة القنال مستعدين للبدء بتنفيذ هذا الواجب إذا دعت الظروف !!

وفى ظهر ٢٣ يوليو وردت أنباء لجمال عبد الناصر عن احتمالات تقدم بريطانى من منطقة السويس . . فأرسل قوات مدعمة بالمدرعات إلى مشارف القاهرة للدفاع عنها !!

إن الموقف من وجهة نظر الانجليز أنهم تفهموا أن عواقب التدخل ستكون وخيمة . . وأنهم لا يواجهون باشوات ينهارون أمام أى إنذار . . بل يواجهون ثواراً يحملون السلاح !! . .

لقد ظل عبد الناصر ولسنوات — يدور كالنحلة — كما يقول السادات — ويجتمع بالضباط جماعات وأفراداً . . يناقش ويعلم وينظم . . ويدفع بالتنظيم إلى مزيد من الصلابة . . حتى وصل به إلى القوة التى مكنته من إنجاز أروع أحداث الأمة العربية فى القرن العشرين !!

هذا هو جمال عبد الناصر الذى حمل العبء الأكبر من المسئولية منذ أسس أول تجمع للضباط الأحرار من عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة !! حتى بلغ التنظيم أشده .. وضرب ضربته التاريخية !!

وهذه شهادة أقدمها بأمانة أمام الله والتاريخ ؟

كمال الدين حسين يقول : —

للتاريخ عندما قررنا القيام بالثورة . . وبدأنا نخطط لها لم يكن يجول في خاطر واحد منا أن يتصدى للحكم . . كنا نريد تصحيح أوضاع . . والقضاء على فساد استشرى ! ! حتى بدأ يشمل قيادات الجيش ! !

وعندما رسمنا القيام بالثورة . . كان لابد أن نختار زعيماً لها . . قائداً يعرفه الناس . . فنحن جميعاً أعضاء تنظيم الضباط الأحرار لا زلنا شباباً غير معروفين بالمرة . . باستثناء أنور السادات لسبق اتهامه فى عدد من القضايا السياسية ! !

واجتمعنا نبحث عمن يكون قائداً للثورة الذى نقدمه للناس ويقتنعون به . . ورشح المرحوم عبد الحكيم عامر لنا اللواء محمد نجيب . . وكان عامر أركان حرب له . .

وافقنا بالإجماع . . لأن نجيب كان يمتاز بالشجاعة التامة . . ولنزاهته المطلقة . . ولجاذبيته . . وحب الضباط له بعد انتخابات نادى الضباط . . ووقوفه ضد ترشيح السراى للواء حسين سرى عامر ! !

° ° °

حسن ابراهيم يقول :ـ

كان عبد النــاصر فى بداية الثورة غير معروفاً لـكل النــاس تقريباً أنه القائد الحقيقى للثورة ! !

كان الذين ظهرا أمام النــاس إثنان فقط . . محمد نجيب . . بصفته قائد الثورة . . وهو الذى وقع بياننا الأول . . وأنور السادات الذى أذاع البيان..

كان عبد الناصر ينظر إلى محمد نجيب على أنه سرق الثورة لنفسه !! وعمل على خــلاف مبادئها . . وكان نجيب لا يريد أن يخضع لوصاية من مجلس الثورة ! ! . .

كان محمد نجيب قائداً للثورة . . أو هكذا كان مفهوماً للناس جميعاً ! ! لـكافة الطبقات . . يتمتع بحب كبير فى قلوب أبناء الشعب المصرى . .

وأحس عبد الناصر بخطورة نجيب .. بدأ يتجاهله !! يدعو إلى جلسات لمجلس الثورة . . ولا يحضرها محمد نجيب ! !

وكان محمد نجيب من ناحيته يقوم بتصرفات دون إخطار سابق لمجلس قيادة الثورة ! ! . .

وبدأ الإثنان صراع غريب بالخطب ! !

عبد الناصر يلقى كلمات تهاجم حكم الفرد والديكتاتورية ! !

ويرد نجيب بخطاب فى منطقة أخرى ! !

وللتاريخ .. كان رئيس تنظيم الضباط الأحرار هو .. جمال عبد الناصر .. ولـكنه آثر عدم الـكشف عن شخصيته إلا بعد أن استقرت أوضاع الثورة .. وتم طرد الملك السابق « فاروق » ! !

جمال عبد الناصر نزاهته !!
بين
الاتهام ؟؟ والدفاع !!

فى أوائل عام ١٩٧٦ — وفى شهر يناير من هذا العام . . صدر كتاب « حوار وراء الأسوار » للكاتب الصحفى الأستاذ جلال الدين الحمامصى .

ونشرت صحيفة الأخبار مقتطفات من هذا الكتاب . . وأحدث نشر هذا المقال . . نقلاً عن هذا الكتاب . . ضجة ودهشة كبرى فى مصر وفى جميع الأقطار والبلاد !!

جاء فى هذا المقال والكتاب . . شىء مثير !! واتهام خطير !! إن الكاتب يتهم جمال عبد الناصر أنه استولى على مبلغ ٥ خمسة مليون دولار كان قد تبرع بها المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز لمصر قبل نكسة ١٩٦٧ !!

وبعد الهزيمة بيومين كتب شيكاً بمبلغ ١٠ عشرة ملايين دولار قرضاً لمصر !!

واستولى جمال عبد الناصر على هذين الشيكين .. وحولهما على البنك لحسابه الخاص !!

وقرأ الناس هذا الخبر فى دهشة بالغة .. وهم ما بين مصدق ومكذب .. مصدقوا هذا الخبر يقولون :—

نحن بشر ولسنا جميعاً بمعصومين من الزلل والخطأ .. والعصمة لله وحده.

ومكذبوا هذا الخبر يقولون :—

حاشا لله .. إن هذا إلا إفك وبهتان كبير .. إن جمال عبد الناصر زعيم مثالى .. والزعماء المثاليون لا يسرقون ولا يختلسون !!

* * *

وهذه الواقعة .. وهذا الاتهام لا نجد مؤيداً له سوى الرئيس السابق « اللواء محمد نجيب » !!

أما المدافعون فهم كثيرون .. ومنهم على سبيل المثال .. لا الحصر .. « حسن التهامى » .. « صلاح الشاهد » .. « محمد حسنين هيكل » .. « فائق السمرائى » .. « محسن محمد » .. الخ .

ولنقرأ معاً قصة هذا « الحوار وراء الأسوار » أو جمال عبد الناصر ونزاهته .. بين .. الاتهام والدفاع !! ..

(حوار وراء الأسوار)

ومن أخطر ما كشف عنه كتاب « حوار وراء الأسوار » قصة استيلاء عبد الناصر على ١٥ مليون دولار . . وتحويلها إلى رصيده الخاص فى بنوك سويسرا وفرنسا !!

ومن الغريب أن هذا الاستيلاء حدث فى وقت كانت البلاد تمر فيه بأحرج فترة فى تاريخها الحديث . . قبل الهزيمة بأسبوع . . وبعد الهزيمة بيومين فقط !!

فى يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ تبرع الملك السابق « سعود بن عبد العزيز » بشيكين قيمتهما خمسة ملايين دولار لدعم المجهود الحربى . . ولكن الذى حدث . . أن الشيكين حولا إلى حساب خاص . . للرئيس عبد الناصر !! . . وبعد الهزيمة بيومين اثنين فقط . . كتب الملك سعود شيكاً آخر بمبلغ عشرة ملايين دولار على بنك هولندا العام بامستردام لأمر الرئيس عبد الناصر باعتباره قرضاً للجمهورية العربية المتحدة !!

وقبل أن يعلن عبد الناصر عن تنازله عن الرياسة يوم ٩ يونيو . . تسلم شيك الملك سعود وقام بتحويله إلى بنك باريس والبلاد الواطئة . . وذلك لتحصيله من بنك هولندا وإيداعه فى حسابه الخاص !!

ه ه ه

وأصدر عبد الناصر قراراً جمهورياً رقم ١٣٥٠ لعام ١٩٦٧ بالإذن لوزير الاقتصاد والتجارة الخارجية نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة . . باقتراض مبلغ عشرة ملايين دولار من الملك سعود . . بالشروط والأوضاع المرفقة بالقرار .. أى أن الرئيس السابق اعتبر المبلغ المدفوع . . والذى حوله إلى . . حسابه الخاص . . فى بنك باريس والبلاد الواطنة باسمه قرضاً تسدده للملك سعود . . . مصر !! .

حدث هذا فى الوقت الذى قرر فيه أن يترك منصبه فيما يعرف باسم ٥ يونيو !! . .

وقد بعث وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية فى ذلك الوقت بخطاب بتاريخ ٧ يونية ١٩٦٧ موجه إلى الملك سعود نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة . . بأن يقوم البنك المركزى المصرى برد هذا القرض إلى البنك الهولندى . . على ثلاثة أقساط خلال عام . . أى فى الفترة من ٧ يونيو ١٩٦٧ . . إلى ٦ يونيو عام ١٩٦٨ . . وأن يكون السداد بالدولارات الأمريكية !!

(واقعة أخرى يذكرها الحماصى)

فقد ثبت أن . . الليثى عبد الناصر « شقيق الرئيس السابق » . . رشح نفسه لعضوية مجلس الأمة عن دائرة من دوائر الاسكندرية .. فى أول انتخاب لمجلس الأمة عام ١٩٥٧ . . وصرف له من المصاريف السرية مبلغ ٣٠ ألف جنيه مصرى . . لينفق منها على المعركة الانتخابية !! . .

* * *

وفى حديث للأستاذ صلاح شابور المحرر بمجلة الإذاعة يقول :—

قلت للواء محمد نجيب :—

ما رأيك فيما أثاره الأستاذ الحماصى فى كتابه : « حوار وراء الأسوار » حول استيلاء عبد الناصر على مبلغ ١٥ مليون دولار ؟ ؟

فأجاب :— إننى أميل إلى الإعتقاد بأن هذه الواقعة صحيحة وأسوق لتأكيدها واقعة أخرى حدثت بعد شهور قليلة من قيام الثورة . . فقد فوجئت ذات يوم بعبد الناصر يقول لى :—

إن ظروفنا المالية الحالية توجب علينا أن نهتم بمستقبلنا .. لذلك فكرت فى أن يأخذ كل واحد منا ١٠ آلاف جنيه . . وتأخذ أنت ١٤ ألفاً . . وقد طلبت من زكريا محيي الدين أن يحجز لنا نقوداً جديدة فما رأيك ؟ ؟

ولست فى حاجة طبعاً إلى القول بأنى رفضت هذا العرض بحزم .. فضلاً عن أننى عنفته تعنيفاً شديداً لاستباحته خلط مال الشعب بماله الخاص على هذا النحو ! !

ويقول نجيب :— وكان رد جمال أعجب من عرضه ! ! . . فقد ضحك ضحكته العصبية . . وهو يقول متلعثماً :—

أنا كنت متأكد أنك حتقول كده ! !

ثم قال :— إن الأمر لا يزيد عن مداعبة ! !

٥ ٥ ٥

الدفاع عن عبد الناصر يقول :—

ومن « حوار مع هدى عبد الناصر » للأستاذ محمود مراد

قال لى « حسن التهامى » . . أحد الأعضاء الأوائل لأولى خلايا الضباط الأحرار برئاسة جمال عبد الناصر . . والذى يشغل الآن منصب . . أمين عام المؤتمر الإسلامى . . ومقره « جدة » فى السعودية . . والذى عينه الرئيس السادات أخيراً بدرجة « نائب رئيس وزراء » فى رئاسة الجمهورية . . بعد أن كشف عن دور هام له فى معركة السويس خلال حرب أكتوبر .. يقول :—

أذكر أن وفداً من مسلمى أمريكا السود جاء إلى مصر للقاء عبد الناصر وفى نهاية اللقاء قدم رئيس الوفد هدية ثمينة إلى عبد الناصر . . لعلها قطعة من الجوهرات على ما أذكر !!

لكن عبد الناصر رفض برقة شديدة قبول الهدية . . وقال لرئيس الوفد :—

إن مواطنيك هناك فى أمريكا أكثر حاجة إلى ثمنها للإنفاق على رفع مستوى معيشتهم !! . .

تتداعى المعانى . . وتبرز حكاية يعرفها « صلاح الشاهد » جيداً . .

كان الشاهد كبيراً للأمناء عندما جاءت إلى عبد الناصر هدية .. عبارة عن حقيبة فاخرة أرسلها المليونير السعودى «حسن الشربتلى» !!

فحملها إلى الرئيس الذى فتحها بحضوره . . وكانت المفاجأة أنها تحتوى على مجموعة نادرة من المجوهرات ! !

وذهل عبد الناصر ! ! . .

وبهدوء حاسم قال لصلاح الشاهد :—

شيل من قدامى بسرعة جداً . . وابعتها له على طول ! !

وقال صلاح الشاهد :—

يا فندم ما فيهاش حاجة . . كل الرؤساء بيقبلوا الهدايا ! !

ونظر إليه عبد الناصر وقال :—

يا صلاح . . شيلها . . وابعتها له فوراً . . هدايا إيه ؟ وليه ؟

وقال صلاح الشاهد برقة رجل البروتوكول :— يا فندم الراجل عايز يعبر عن شعوره لسيادتك . . ويتأثر لو رفضت ! !

ورد عبد الناصر :— أنا قلت ابعتها له . . يعنى تبعتها له . . أنا مش عاوز حد لا يزعل ولا يتأثر . . لكن أعمل إيه بالمجوهرات دى . . وليه ؟

إذا كان عايز يعبر زى ما بتقول . . يبعت أى حاجة رمزية . . صغيرة جداً . . قلم حبر مثلاً . .

وبالفعل أرسل الشاهد إلى الشربتلى مجوهراته فى ذات اليوم . . وبالفعل أيضاً أرسل المليونير العربى . . هدية جديدة للرئيس . . وهى . . قلم حبر باركر ! !

وكان برغم ما وصل إليه يعيش مثل آى « جمال عبد الناصر حسين » رجل ينحدر صلبه من الصعيد « بنى مر » مركز أبنوب الحمام . . محافظة أسيوط . . جاء إلى القاهرة . . وفتح عليه الله رزقاً بدخل معقول . . وتزوج وأنجب ولا بد أن يعيش هو وزوجته وأبناؤه فى سعادة لا تتجاوز الحد !!

ولا بد أن يعرف أفراد أسرته أن هـذا النعيم الذى يوجدون فيه . . هو حالة « طارئة » عليهم .. وليست « دائمة » !!

لـكن ذلك لم يكن يعنى مثلاً أنه لا يريد لأحد أن يعيش فى رخاء ؟ أو أن يرتدى الزى المناسب الأنيق ؟!

ولعل البعض يذكر أنه بعد حفل العشاء الذى أقيم فى ٢٣ فبراير ١٩٧٠ بمناسبة زيارة الرئيس اليوجوسلافى « تيتو » إلى القاهرة . . عاد عبد الناصر إلى منزله يتصل بعدد من المسئولين الذين حضروا الحفـل . . يقول . . أنه لاحظ أن زوجاتهم كن يرتدين ملابس رخيصة وغير أنيقة !! . . فهل فعلن هـذا حتى يتظاهرن بالفقر أمامى ؟ . . إننى أعلم أنهن يرتدين أفخر الثياب فى الحفلات الخاصة التى يحضرنها . . فلماذا يتخذن هذا المظهر أمامى ؟! وفى حفل رسمى !!

إننى لست داعية للفقر ولا للبهدلة !! إننى ضد الاستغلال والملـكية المستغلة . . لـكننى لست ضد الرخاء ولا الاناقة !!

* * *

(عندما قبض جمال عبد الناصر على عمه !!)

أرسل الأستاذ « فائق السامرائى . . سفير العراق السابق بمصر . . هذا الخطاب إلى الأستاذ مصطفى أمين :

° ° °

عزيزى الأخ مصطفى أمين . .

تحية طيبة وبعد . .

أود أن أذكرك أنك حضرت بنفسك عند جمال عبد الناصر معى حين طلب منى بعض الأصدقاء التوسط لدى الرئيس جمال عبد الناصر للإفراج عن عمه . . وذلك فور وصولى للقاهرة سفيراً . . وقبل تقديم أوراق الاعتماد بصورة رسمية !!

وقالوا لى :— إن جمال عبد الناصر يحيطك برعاية خاصة . . زادتها أنك أول سفير للعراق فى عهد الثورة التى يعلق عليها آمالا كباراً !!

ولذلك فى مقدورك أن تنجح فى الوساطة . . بعد أن فشل فيها أقرب المقربين إليه !!

واستجابة لطلبهم اغتنمت أمامك لقاءنا معاً بالرئيس عبد الناصر . . اغتنمت هذه الفرصة وفاتحته فى أمر إطلاق سراح عمه من الاعتقال !!

فانتفض غاضباً وقال لى :— لن يخرج من السجن إلا إذا أعاد الهدية لأصحابها !! .

محمد حسنين هيكل يقول :-

والسؤال الذى يطرح نفسه . . أو الذى يجب أن نسأله هو :—

هل هناك لص يسرق . . ويترك وراءه وثائق ! ! . .

وإذا كان عبد الناصر من طلاب الرشوة . . لماذا لم يسرق ؟ وكل خزائن مصر كانت مفتوحة أمامه أعوام طوال ! !

وتطبيقاً على عبد الناصر يمكن أن نسرد عدد من الملامح فى حياة عبد الناصر الاجتماعية . . ونعرف . . من هو عبد الناصر ؟ كيف كان يعيش ؟ وهل هو من طلاب الثروة . . أم . . لا ؟ ؟

ولو كان عبد الناصر من هواة جمع الثروات . خاصة وهو على قمة الجهاز السياسى الحاكم : كان لابد له أن يؤمن بالملكية . وأن يبقى على « التركيبة » الطبقية للمجتمع المصرى ! !

ولكن عبد الناصر حدد موقفه بحزم . فقد قال :—

أنا ضد من يملكون لصالح من لا يملكون .. وكان إيمانه مطلقاً بوجوب عدم ملكية الحاكم لأى شىء ! !

كان عبد الناصر دائماً يقول :— إن المكتب والقبر هما حياتى كلها .. فإن لم تجده فى المكتب . . فستجده حتماً فى الثانى . . وقد كان ! !

وعبد الناصر زعيماً تاريخياً تجسدت فى شخصه آمال أمة . . وصنع بصماته على التاريخ بقوة . . والحملة عليه هى بلا شك سائرة إلى المحيط ! !

* * *

(مصر هذا الصباح)

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ محسن محمد .. رئيس تحرير جريدة « الجمهورية » يقول :—

الآن أسدل الستار على اتهام جمال عبد الناصر بالاستيلاء على قرض الملك سعود وتهريبه !!

إن عبد الناصر لم يحقق الحرية السياسية . . والسادات مؤمن بالحرية والديمقراطية . .

والحرية مسئولية على الجميع .. خاصة وأنها فى بدايتها وسيصبح ما يكتب فى الصحف شيئاً عادياً بالنسبة للمصريين !!

وسيعرف الناس مع كل صباح يجىء أن مصر تمارس حريتها . . وفى نفس الوقت . . ستزداد الحملات للتشكيك فى كل شىء . . فى مصر .. ماضيها .. وحاضرها !!

إن كل من يقول كلمة حق فى عبد الناصر أصبح يتهم بالناصرية !!

وعلى آية حال . . فأنا لم أكتب اسم جمال عبد الناصر فى خلال الـ ٨ سنوات الأخيرة من حكمه . . وأتحدى أحد أن يبرز مقالاً لى عن عبد الناصر ؟؟

لم أذكر اسمه بخير أو بشر كما فعل الكثيرون . . ولذلك فمن حقى أن أدافع عنه الآن !!

كان حاكماً مستبداً ؟ ؟ هذه حقيقة !!

ولكن عبد الناصر لم يكن لصاً ولا مهرباً ولا مختلساً !!

وإذا كانت الناصرية تهمة . . فأحب أن أقول . . أنا أول الناصريين !!

جمال عبد الناصر
بين
"الديموقراطية .. والديكتاتورية"

هل كان عبد الناصر . . ديمقراطياً . أم . دكتاتورياً ؟؟

يقـول قائل . . إنه كان حاكماً ديمقراطياً . . وأنه أول من نادى بالديمقراطية عندما اجتمع مجلس قيادة الثورة . . وأرادوا أن يحكموا مصر حكماً ديكتاتورياً فكان عبد الناصر هو المعارض لرأيهم .. والمخالف لقولهم !! حتى أنه قدم استقالته .. واضطر أعضاء مجلس قيـادة الثورة إلى الإذعان والموافقة على رأيه .. وهو « الحكم الديمقراطي » !! وأن أحاديثه وخطبه وكتبه كلها تنادى .. بالحرية والديمقراطية .. وأنه لم يلجأ إلى استعمال الشدة والعنف والإرهاب والديكتاتورية إلا مضطراً .. وقد رأى نفسه يحارب في عدة جبهات .. وقد وحدت بينهم جميعاً فكرة القضاء على الثورة .. التي كان يطلق عليها « الثورة المضادة » المكونة من أذناب الملك السابق الذين حرموا من المناصب والألقاب وأنصار الرجعية والإقطاع الذين حددت الثورة أملاكهم وأممت ممتلكاتهم وشركاتهم !! ورجال الأحـزاب السابقـة من الوفديين والسعديين والأحرار الدستوريين والإخوان المسلمين والشيوعيين وغيرهم ممن حلت الثورة أحزابهم !!

وأن جمال عبد الناصر فى شدته وقسوته على هؤلاء جميعاً . انما كان

فى موقف الدفاع عن ثورته التى عرض نفسه للخطر والمغامرة فى سبيل نجاحها وإبقائها .. وخاصة أن عبد الناصر كان دائماً شديد الحساسية والانفعال .. كما وصفه صديق العمر السيد الرئيس محمد أنور السادات فى إحدى خطبه .. بأن عبد الناصر كان من هذا النوع الذى يعيش على أعصابه .. حياته عبارة عن وتر مشدود طوال الأربعة والعشرين ساعة !!

وهذا الوصف أيضاً نجده فى كتاب الأستاذ (توفيق الحكيم) (عودة الوعى) !!

. . .

ومن قائل يقول : — إنه حقاً كان ينادى بالديمقراطية ويشيد بالحرية .. ولكنه كان يقول ويظهر غير ما يضمر ويبطن وأن الحكم فى عهده كان حكماً ديكتاتورياً إرهابياً تعسفياً .. وكان يحكم مصر ويسيطر عليها إثنان .. مدير المخابرات !! ومدير السجن الحربى !! لكل منهما السلطة المطلقة فى القبض والاعتقال والتعذيب والتنكيل بمن يشاءون !!

وأن القضاء فى عهده كان فى أجازة طويلة .. إلى .. أجل غير مسمى !! وأن أعضاء مجلس الشعب النيابى ما كانوا إلا رمزاً للديمقراطية المزيفة !! وأن أعضاء هذا المجلس كانوا فى كل جلسة من جلسات المجلس موافقون ومصفقون !! ولا يجرؤ أى واحد منهم على إبداء النقد أو المناقشة فى أى رأى من آراء الزعيم .. أو المعارضة فى تنفيذ أى أمر من أوامره الصائبة وتوجيهاته الحكيمة !!

وكذلك السادة الوزراء ما كانوا إلا صورة مكررة من أعضاء مجلس الشعب . كانوا جميعاً موظفين ومرؤسين . . على السيد الرئيس الأمر وعلى المرؤسين السمع والطاعة . وعلى الجميع أن يتذكروا دائماً . . ويحفظوا هذه الآية القرآنية الكريمة . . « وأطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منكم » حتى الصحافة ووسائل الاعلام مكممة الأفواه . . لا يتحدثون ولا ينشرون إلا المحاسن مع الثناء والإطراء والإعجاب !!

والكتاب والصحفيون الذين ينقدون أو يعارضون . . حتى ولو كان القول همساً بينهم . . ومن جرؤ على هذا . . فقد حق عليه العقاب والعذاب ليكون عبرة لغيره من الكتاب والصحفيين المتهورين والمتمردين !!

وفى هذه العجالة لا نستطيع العد والحصر . . من قالوا . . إن عبد الناصر كان . . «ديكتاتورياً» . . ومن قالوا إن عبد الناصر كان . . « ديمقراطياً » فلكل من هؤلاء حجته وأدلته ؟!

والقارىء هو القاضى الحكم الذى يستطيع أن يقارن بين رأى هؤلاء وهؤلاء . . ويصدر حكمه الصحيح . . والشعب هو . . « القاضى » . . وهو التاريخ !!

الديموقراطية المزيفة !!

ويتحدث عن ديمقراطية « جمال عبد الناصر » . . ثلاثة ممن شاركوا عبد الناصر الحكم .. وهم « كمال الدين حسين » و « عبد اللطيف البغدادي » و « حسن ابراهيم » . . فى كتابهم الذى صدر بعنوان «الصامتون يتكلمون» وفى إحدى صفحاته . . تحدثوا عن . . (الديمقراطية المزيفة) !!

° ° °

صدر الدستور المؤقت عام١٩٥٦ .. سيعود الحكم إلى الشعب.. ستنتخب طوائف الشعب ممثليها فى أول مجلس للأمة بعد قيام الثورة يكون مسئولاً عن حماية الشعب !!

ستجرى انتخابات حرة مائة فى المائة . . سيستطيع كل مواطن أن يدلى بصوته دون خوف وإرهاب . . الثورة حررت الفلاح من الإقطاع . . أصبح صوته حراً يعطيه لمن يشاء . . الثورة رفعت من مستوى معيشة الفرد .. أصبح فى استطاعته أن لا يبيع صوته لمرشح مقابل ما يدفعه من ثمن . . أنها أول مرة يجرى فيها انتخابات تعبر تعبيراً صادقاً عن إرادة الشعب فى اختيار ممثليه !!

هكذا عاش الناس الآمال العريضة . . وفوجئت مصر بالعدوان الثلاثى بعد شهور من صدور الدستور المؤقت وتأجلت الانتخابات لحين طرد العدو من مدن القناة بعد أن احتلها . . واحتفلت مصر بالنصر يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٦ بخروج قوات الاحتلال . . وبدأ الاستعداد للحياة الحرة الديمقراطية التى وعد بها عبد الناصر الشعب المصرى بعد أن كان حل مجلس الثورة فى يونيو سنة ١٩٥٦ !!

وبدأ أول اعتداء على الحريات . . مع بدء المعركة الانتخابية . . كان قد تقدم للترشيح في الدوائر الانتخابية أعضاء مجلس الثورة ووزراء وضباط قيل إنهم من الضباط الأحرار وتقدم للترشيح في نفس الدوائر مواطنون عاديون من أبناء هذه الدوائر . . مواطنون صدقوا أن من حقهم اختيار تمثيل أبناء دائرتهم التي عاشوا فيها سنوات عمرهم . . مواطنون أحسوا أنهم سيخدمون الدوائر . . أحسن من غيرهم من المرشحين من رجال الحكم !!

* * *

وفجأة أصدر عبد الناصر بصفته رئيساً للاتحاد القومي قراراً بغلق بعض الدوائر على مرشح وحد هو من رجال السلطة !! وإعادة التأمين لغيره من المرشحين . . وأصبح عدداً من أعضاء مجلس الأمة بذلك القرار معينين أعضاء في المجلس . . ومن هؤلاء . . مجدي حسنين . . وكان قد رشح نفسه عن نفس الدائرة في دائرة قصر النيل . . ورشح الصحفي موسى صبري نفسه عن نفس الدائرة .. ودارت بين الاثنين معركة حامية أكد الخبراء .. وتقارير استطلاع الرأي العام . . أن الفوز بها محقق لموسى صبري . . ودخل مجدي حسنين المعركة الانتخابية . . ورصيده في الدعاية أنه مؤسس « مديرية التحرير » . . أقام اللافتات مكتوباً عليها « إنتخبوا مجدي حسنين الذي أنشأ مديرية التحرير » . . وكانت الإشاعات بدأت تلاحق مديرية التحرير . . والحديث عن المبالغ الطائلة التي قيل إنها أنفقت عليها . . وأغلبها يدخل بعض الجيوب الخاصة !!

* * *

واستغل موسى صبرى ذلك . . فأقام اللافتات مكتوباً عليها « إنتخبوا موسى صبرى الذى لم ينشىء (مديرية التحرير) !!

وأثارت لافتاته ثورة عبد الناصر وكراهيته لأنه تجرأ وهاجم واحداً ممن يعتبره عبد الناصر من أخلص المخلصين !! وكان أصدر قراره بإغلاق بعض الدوائر على مرشح واحد !!

وطبعاً كان مجدى حسنين هو المرشح الوحيد الذى بقى فى الدائرة !!

* * *

وهكذا كانت بداية الديمقراطية المزيفة !! وتم انتخاب أول مجلس الأمة . . وكان هناك اتفاق مسبق أن يتولى عبد اللطيف البغدادى رئاسة المجلس !!

الحاكم المطلق !

ويتحدث الدكتور «توفيق الحكيم» عن .. «جمال عبد الناصر» .. بين «الديمقراطية» و «الديكتاتورية» .. فى كتابه «عودة الوعى» .. فيقول :—

وسارت الأمور سيرها المعروف .. وأصبح عبد الناصر هو الرجل الأول فى البلاد .. وكان كل يوم يكتسب حب الناس وثقتها . حتى أولئك الذين استولى على أطيانهم للإصلاح الزراعى بدأ الكثير منهم يعتاد تحديد الملكية ويتأقلم .. إلا الذين لا أمل فى ولائهم !!

وبدأت البلاد تعتاد حكم الفرد ووثقوا به وأحبوه .. والجماهير عندما تحب لا تناقش .. وخفت شيئاً فشيئاً أصوات من اعتادوا المناقشة .. وأخذ الحاكم المحبوب نفسه يعتاد الحكم الذى لا يناقشه فيه .. وأخذ الستار الحديدى يسدل رويداً رويداً بين الشعب وتصرفات الحاكم المطلق !! كنا نحبه ولا نعرف دخيلة فكره .. ولا الدوافع الحقيقية لتصرفاته !! كان القلب منا يخترق الستار إليه .. ولكن العقل يظل بمعزل عنه لا يصل إلى فهم ما يجرى خلف الحجب .. لم نكن نعرف من أمورنا أو الأمور الخارجية إلا ما يلقى هو به إلينا من فوق منصة عالية .. فى عيد من الأعياد .. أو مناسبة من المناسبات !!

وكان يتحدث بمفرده الساعات الطوال . . بغير كلفة . . حديثاً يظهرنا فى صورة أبطال بقيادته . . ويظهر الدول الكبرى فى صورة أقزام !! فكنا نصفق إعجاباً وخيلاء !!

وعندما كان يخطب بقوة قائلاً عن دولة قوية تملك القنابل الذرية . . « إذا لم يعجبها تصرفاتنا . . فلتشرب من البحر » كان يملؤنا الفخر !!

« الثقة شلت التفكير !! »

وليس بعجيب أن يتلقى الشعب فى حماس العاطفة هذه الخطب بالتهليل والتكبير !! . . ولكن العجيب هو أن شخصاً مثلى محسوب على البلد من أهل الفكر . . وقد أدركته الثورة وهو فى كهولته يمكن أن ينساق هو أيضاً خلف الحماس العاطفى . . ولا يخطر لى أن أفكر فى حقيقة هذه الكلمات التى تقال لنا ؟ !

لعلى كنت أبرر ذلك لنفسى بأنه رفع الروح المعنوية للشعب . . وليس فى هذا ضرر ظاهر ما دامت النتائج السيئة لم تزل بعيدة !!

كانت الثقة فيما يبدو قد شلت التفكير . . كنت أحياناً أستغرب أشياء !! . . وأقول لنفسى :— أمن الصواب حدوث ذلك ؟ ؟ !!

أذكر يوماً جاءنى صاحبى الصحفى اللامع صديق عبد الناصر بنسخة من كتاب « فلسفة الثورة » مهدى لى من مؤلفه الزعيم . . أنى فكرت بعد قراءته : كيف يصح لسياسى أن يكشف وزنه للعالم هكذا ؟ ! . .

(الانفعال ورد الفعل)

ومن يدرس بعناية الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية التي وقعت في مصر على مدى حكم عبد الناصر يجد أن المحرك الخفي الحقيقي لها كان هو « الانفعال ورد الفعل » وليس التفكير الهادىء الرصين الرزين المبنى على بعد النظر !!

فعبد الناصر ظهر فيما بعد من النتائج التي نجني أخطاءها حتى اليوم .. أنه لم يكن رجلاً سياسياً .. ولم تكن له قط طبيعة رجل السياسة التي يملكها رجال اتصل بهم وعرفهم .. مثل « نهرو » و « تيتو » !!

ومن المعروف أن نهرو قال لعبد الناصر في عبارة رقيقة موحية أنه يحتاج إلى قليل من الشعر الأبيض !! وهو يقصد بلا شك .. قليلاً من الرزانة .. والحكمة والتجربة !!

وقد ظهر فيما بعد أن نهرو على حق .. وأن عبد الناصر لم يستطيع تحقيق « عدم الانحياز » كما استطاعا تحقيقه بطلاه الحقيقيان .. نهرو وتيتو .. فهما سياسيان حقاً .. فقد كان عبد الناصر ينتمي إلى طبيعة الكاتب الفنان الحاكم العاطفي !! .. ويظهر أن الظروف هي التي دفعته إلى طريق غير طريقه !! .. ولو أنه ترك لطبيعته لكان كاتباً ناجحاً !! ولعل هذا ما خطر له أول الأمر .. فقد اتجه بالفعل في مطلع شبابه إلى كتابة القصة .. وكتب صفحات من قصته بعنوان « في سبيل الحرية » وجعل اسم بطلها « محسن » أيضاً كإسم « بطل » « عودة الروح » ولكن الظروف حولته من مؤلف محسن على الورق إلى « محسن » نفسه أيضاً على أرض الحياة .. فعاش مثله .. وتصرف تصرفاته الشخصية الوطنية العاطفية الانفعالية .. حتى في المسائل البعيدة عن السياسة وشئون الحكم تبدو طبيعته العاطفية والانفعالية !!

(أصبح المعبود المعصوم)

لقد أصبح معبود الشعب . . ولست أدرى هل كان هذا حلماً قديماً له !!

بدأت أسائل نفسى بعد أن تأكدت مظاهر العبادة لشخصه على مر الأيام!! ما الذى كان يعجبه فى كتاب عودة الروح ؟ . . أترى هى الفقرة التى تروى ما عناه ؟ أن مصر تحتاج دائماً إلى معبود من بينها . . فلما قرأ ذلك وهو شاب صغير حلم أن يكون هو ذات يوم المعبود !! . . وليس هذا بالشىء المكروه . . فكل شاب له الحق بأن يكون « معبود الشعب » !! ولكن المكروه بل الخطر . . هو أن يكون للمعبود البشرى من القداسة ما يجعله معصوماً من الخطأ فى نظر الناس وما يجعل سلطانه يشل العقول . . فلا ترى غير ما يرى !! .. ولا يسمح لها برأى يخالف رأيه !! وهذا ما حدث بالفعل !! ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث نرى الأمور على مثل هذه الصورة !! العقل المصرى وقد ختم عليه بسمة أختام فلم يعد يجرؤ على أن يخرج علناً رأياً مخالفاً لرأى الزعيم المعبود . . أعوام طويلة مضت وفى مصر . . وفيها مجلس نيابى . . وفيها اتحاد اشتراكى . . هو الحزب الواحد الذى يضم كل عناصر الشعب . . ويقال أنه أعلى سلطة فى البلاد !! . . هل سمع صوت واحد على صفحات جريدة أو كتاب أو مجلس نيابى أو اجتماع عام .. جرؤ أن يبدو رأياً يختلف عن رأى « عبد الناصر » !! . . وإذا كان قد جرؤ . . فهل تمكنه السلطة من توصيل هذا الرأى المعارض حيث يسمعه الناس ويعرفه الآخرون ؟؟!!

أقول إن هذه ربما كانت أول مرة فى تاريخ مصر الحديث يحدث فيها أن يظهر معبود أراد أن يكون لإرادته فى كل البلاد العربية من القداسة والعظمة والسلطة ما لم يملكه الأنبياء والرسل !! فالأنبياء المرسلون من السماء كانوا يجدون من يجادلهم ويناقشهم ويعارضهم !!

(سعد المعبود كان حراً)

ولقد عرفت مصر فى تاريخها القريب زعيماً معبوداً .. هو «سعد زغلول» قائد ثورة ۱۹۱۹ . ذلك الذى التفت حوله مصر بأكملها . . ووضعت فيه أملها . . وأصبح أسطورة فى نظر الفلاحين . . حتى لقد سمعت وقتئذ فى الأرياف من يؤكدون أن بعض أوراق الشجر للقطن قد نبتت واخضرت ووجد مكتوباً عليها اسم « سعد زغلول » !!

هذا الزعيم لم يمنع عبادة الشخص له من وجود معارضين يخالفونه الرأى !! وصحف وخطب تمتلىء بالآراء والأقوال التى تناهضه وتقف ضده . . بل أن صحيفة معارضة تناولته بالتجريح وهو زعيم الأغلبية ورئيس الحكومة .. واحتكم إلى القضاء . . ونظرت القضية . . ولكن القضاء المصرى العادل لم يعط الحق لرئيس الحكومة . . وحكم ببراءة المعارض !!

على أن فكرة الزعيم المعبود الذى لا تتنافى عبادة مع نقده قد رأيناها ممثلة فى فرنسا فى عهد «شارل ديجول » .. فهو أيضاً على الرغم من تقديس الفرنسيين له باعتباره بطلاً قومياً فان ذلك لم يمنع من وجود المعارضين لرأيه فى البرلمان والصحف والكتب !! وكان هو أول الضاحكين لما يرسم له من كاريكاتير ونكات وانتقادات . . تسخر منه فى بعض المجلات !!

وكانت أقسى الصحف هجوماً عليه وعلى سياسته الخارجية والداخلية هى مجلة « الاويزرفاتور » كان يكتب فيها رئيس تحريرها السياسى « شريبير » معارضاً بعنف آراء ديجول !! فيرد عليه فى نفس المجلة الكاتب الروائى « فرانسوا مورياك » مدافعاً عن صديقه « ديجول » الذى منحه أكبر وسام فى فرنسا !!

ولذلك عندما جاء « سارتر » فى زيارة لمصر منذ أعوام وسألنى :—

لماذا لا أدافع أنا أيضاً عن عبد الناصر وأكتب فيه كتاباً يمجده كما فعل « موريك » فى كتابه المعروف عن « ديجول » ؟ ؟ فقلت :— لكى يكون هناك دفاع .. يجب أن يكون هناك هجوم ؟! وعبد الناصر لا يهاجمه عندنا أحد !! ولا يجرؤ فى بلادنا أحد على مخالفة رأيه !!

حتى إذا جرؤ أحد وهاجم رأيه .. فكيف يستطيع صاحب الرأى المهاجم أو المخالف أن يعلن هذا الرأى .. فى أى جريدة .. وفى أى مكان ؟ !

* * *

إن رقباء الصحف والإذاعات .. ورجال المخابرات .. ونحو ذلك من وسائل النظام المغلق لا تسمح بظهور المعارضة !! .. ولا حتى بمعرفة الرأى المخالف أو صاحبه !! .. وحتى معنى المعارضة يشوه فى الحال .. ويلصق بصاحبه .. الخيانة أو الانحراف أو الانتماء إلى عمالة أجنبية !! أو عقائد تخريبية !!

(سحر وحلم)

ولكن هل كان قد ظهر بصورة جدية أو غالبية .. أن لعبد الناصر رأياً فى ذلك الوقت له من الخطر والضرر ما يقتضى أن نخالفه ؟ ؟ ربما كانت هناك أشياء .. ولكنها كانت تبدو لنا مما يمكن التجاوز عنه إلى جانب الخير المنتظر منه .. وفى الحقيقة أنه إلى ذلك الحين كان قد غمرنا فى سحر أو حلم لا ندرى كيف غمرنا فيه ؟ ؟ .. ربما كان سحره الخاص كما يقولون عندما يتحدث

إلى الجماهير !! .. وربما كان الحلم الذى جعلنا نعيش فيه بتلك الأمانى والوعود .. بل تلك الصورة الرائعة التى حققتها لنا . . وجعلتنا أجهزة الدعاية الواسعة يطبلها وزمرها . . وأناشيدها وأغانيها وأعلامها . . نرى أنفسنا دولة صناعية كبرى . . ورائدة العالم النامى فى الإصلاح . . وأقوى قوة ضاربة فى الشرق !!

وكان وجه الزعيم المعبود وهو يملأ شاشة التليفزيون ويطل علينا من فوق منصات السرادقات وقاعات الاجتماعات . . ويحكى لنا الساعات الطوال هذه الحكايات . . ويشرح لنا كيف كنا ؟ ؟ وكيف أصبحنا ؟ ؟ ولا أحد يناقشه أو يراجعه !! أو يصحح أو يعلق !! . . فما كنا نملك إلا أن نصفق . . ثم نلهب الأكف بالتصفيق !!

« تنظيم التصفيق والهتافات »

غير أن هذا النظام لم يكن يكتفى بالتصفيق العفوى . . والهتاف المرتجل بل أن الاعتماد الأساسى عنده على التدبير والتنظيم . . وقد رأيت بنفسى ولم أصدق عينى . . قابلت ذات يوم رجلاً من أهل الريف أعرفه وسألته عن سبب وجوده فى القاهرة . . فقال إنه متصل بلجنة الاتحاد الاشتراكى فى قريته . . وأنهم أحضروه هو وزملاء له فى القطارات باستمارات سفر أو نحو ذلك للاحتشاد فى استقبال الرئيس جمال عبد الناصر عند عودته من الخارج فى مناسبة من المناسبات . . لأن الاستقبال الشعبى كما يقال عبادة . . وأن إقامتهم وطعامهم على حساب الدولة !! وأن عليه هو وزملاؤه أن يهتفوا طبقاً للشعارات

المطبوعة والموزعة عليهم !! وأخرج لى من جيبه بالفعل ورقة اطلعنى عليها فدهشت !! لقد كان مكتوباً عليها بحروف مطبوعة هذه العبارات :—

هتاف جماعى . . « ناصر . ناصر . ناصر » ثم هتاف فريق .. « فليحيا ناصر العروبة » ثم هتاف جماعى « فليحيا بطل الثورة » . . « القائدالبطل » . . و « زعيم الأمة العربية » . . الخ . . أشياء من هذا القبيل !!

وسألت :— كيف يهتفون من هذه الورقة ؟ ؟ !!

فقال :— إن الورقة لا تظهر فهى للحفظ فقط حتى لا تنسى الكلمات !! وأنه معين لكن جماعة منهم أربعة . . أول الصف أو الوسط أو على رأس كل مجموعة يشير إليهم بالبدء !! كما يحدث فى كورال الموسيقى وكورس المسرحيات!!

كنت أظن الشعبية تنبع فقط من القلوب . . أو حتى من صور الأمانى والوعود والأوهام والأكاذيب ولكننى ما كنت أظن حتى تلك اللحظة . . أنها تكتب أيضاً وتؤلف تأليفاً . . وتوزع لها أوراق هتاف كأنها نوتة موسيقية للغناء !! . .

(جمال عبد الناصر .. الديكتاتور !)

ويقول الأستاذ جلال الدين الحمامصي في كتابه «حوار وراء الأسوار» :—

في أعقاب حرب ١٩٥٦ .. كنت أزور عبد الناصر في منزله بمنشية البكري .. وكنت وقتذاك واحداً من القلائل الذين يرتاح لهم.. قلت له :— إن مصر ستواجه حصاراً اقتصادياً . . وأن علينا أن نستعد له ؟ !

نظر لى وقال :— إن هذا الحصار لن يؤثر علينا إطلاقاً لأن الشعب المصري ينقسم إلى ثلاثة فئات . . الأولى تعيش على الجبن والبتاو والبصل !! والثانية هي فئة نادي الجزيرة ويعني . . الاستقراطيون . . وهؤلاء أستطيع جمعهم في معسكر بالصحراء تحيط به الأسلاك الشائكة . . ويظلون هنـاك إلى أن أشاء . . أما الفئة الثالثة . . فهذه أستطيع إمساكها من لقمة العيش ! !

وكانت هذه أول مرة أستمع فيها إلى هذا السلاح الجديد سلاح . . لقمـة العيش ! ! ولا أظن أن هذا التفـكير أو هذا التخطيط طرأ عليه فجأة ؟ . بل من المؤكد أنه فكر فيه من قبل . . وأنه قد اتخذ قراراً بأن يحول مصر إلى مزرعة تدار لحساب الاقطاع الثوري الفردي . . بحيث يصبح كل فرد في هذه المزرعة .. ملـكاً له .. فإما أن يخضع له ولأفكاره . . وإما أن يحرم من لقمة العيش حتى يخضع أو يموت ذليلاً ! !

(ممنوع أن تقول . . لا !!)

وكان من طبيعة عبد الناصر أن يفكر وحده . . ويتخذ القرار وحده ثم يطرحه بعد ذلك على المقربين إليه . . فإذا عارضه أحدهم توقف عن مناقشة الموضوع !!

وإذا وافقه آخر ظل يبحث معه الأمر على أساس أن هذا الأمر يفهمه جيداً . . وبذلك يضعه فى مرتبة المقربين إليه . . والذين يرتاح إلى أفكارهم مع أنهم فى الواقع لا يستقلون بفكر . . وإنما الفكر هو فكره وحده !!

تلك كانت طبيعته التى حكم بها مصر .. ولهذا بدأ حكمه بإجراء تجارب على الكثيرين حتى انتهى به الأمر إلى استبعاد كل من لا يفهم ما يريده !! أو كل من يناقشه الأمر والإبقاء على كل من يفهم !! أو بمعنى أصح .. الإبقاء على كل من لا يناقشه !! بل يمضى فى تأييد رأيه سواء أكان مقتنعاً به . . أو غير مقتنع !! . .

وهكذا تبلور الجهاز الذى حكم به عبد الناصر مصر وحولها إلى قلعة مملوكة مقفلة .. سميت فيما بعد . . بمراكز القوى !!

وفى حوار آخر . . يقول الحامصى . . إن جمال عبد الناصر لم يكن مؤمناً أبداً بالديمقراطية وأنه كان يستعد منذ البداية لحكم مصر . . حكماً ديكتاتورياً . . وذكر ثلاث وقائع تثبت رأيه :—

(الواقعة الأولى)

إن عبد الناصر كان معجباً بنظام سالازار دكتاتور البرتغال الذى استمر لفترة طويلة !!

ولهذا بعث الأستاذ فهمى السيد مستشاره القانونى إلى « لشبونة » ليدرس النظام المعمول به . . ويعود إلى مصر لتطبيقه فيها !!

(والثانية)

أنه يوم وقع الإنقلاب ضد حكم بيرون الدكتاتورى فى الأرجنتين اهتم بذلك اهتماماً كبيراً واتصل بى تليفونياً بجريدة الجمهورية لأطلعه على كل التفاصيل التى أطاحت بهذا الإنقلاب !!

وكان تعليقه الذى ما زال يرن فى أذنى :—

« غريبة نظام بيرون أقوى من أن يتعرض لانقلاب يؤيده الشعب !! »

(والثالثة)

أنه كان يخشى أن يخوض انتخابات . . أى أن يقف فى معركة ترتكز على التنافس بينه وبين آخر !!

وقد حدث أن رشحت نفسى فى انتخابات (نقيب الصحفيين) فى أول تشكيل للنقابة بعد الثورة وكانت معركة حامية ولكنى سقطت فى الانتخابات بفارق بسيط فى الأصوات !!

وفى يوم إعلان النتيجة . . قال لى عبد الناصر :—

إنه يكره هذه المعارك الانتخابية التى يكون فيها مصير الفرد معلقاً على أصوات ناخبيه . . أى أنه لا يجب أن يخوض معركة فيها مواجهة . . قد ينجح فيها ؟ . وقد يفشل ؟ . وهذا دون شك من طباع الديكتاتورية المسلطة !!

هذه بعض الوقائع التى كشفت عن اتجاه عبد الناصر فى اختيار النظام الصالح لحكم مصر . . وهو يهدم كل قول قيل . . بأن الثورة جاءت لإقامة حياة ديمقراطية سليمة !!

• • •

جمال عبد الناصر

وهل أخلص لمن أخلصوا له ؟؟

القائلون .. لا .. والقائلون .. نعم

هذه صفحات ومقتطفات من مذكرات .. شخصيات ثورية قامت الثورة على أكتافهم .. وكانوا أول من غامروا وخاطروا بحياتهم من أجلها .. ومن أجل نجاحها وبقائها !!

وقد شاركوا جمال عبد الناصر الحكم وأخلصوا له .. ولكن جمال عبد الناصر قابل هذا الوفاء والإخلاص بالجحود والنكران .. وهم :ـ

(اللواء محمد نجيب) الذى قامت الثورة باسمه .. وكان أول قائد لثورة ٢٣ يوليو .. وأول رئيس لجمهورية مصر !!

و (كمال الدين حسين) .. و (رشاد مهنا) .. و (أحمد شوقى) .. ولكل من هؤلاء دوراً بارزاً .. ومخاطرة جريئة فى سبيل نجاح ثورة ٢٣ يوليو ..

هؤلاء جميعاً يقولون فى مذكراتهم .. إنهم أخلصوا للثورة .. وأخلصوا لجمال عبد الناصر .. ولكن جمال عبد الناصر لم يقابل هذا الوفاء والإخلاص بمثله !!

لقد قابل هذا الإخلاص بالغدر !! والحب بالكراهية !! فغدر بهم واعتقلهم !! وذاقوا على يديه أنواع شتى من صنوف العذاب والهوان والظلم والتنكيل !!

وفى الصفحات التالية .. يتحدث كل من هؤلاء عن مذكراته ومأساته ؟!

من مذكرات

(اللواء محمد نجيب)

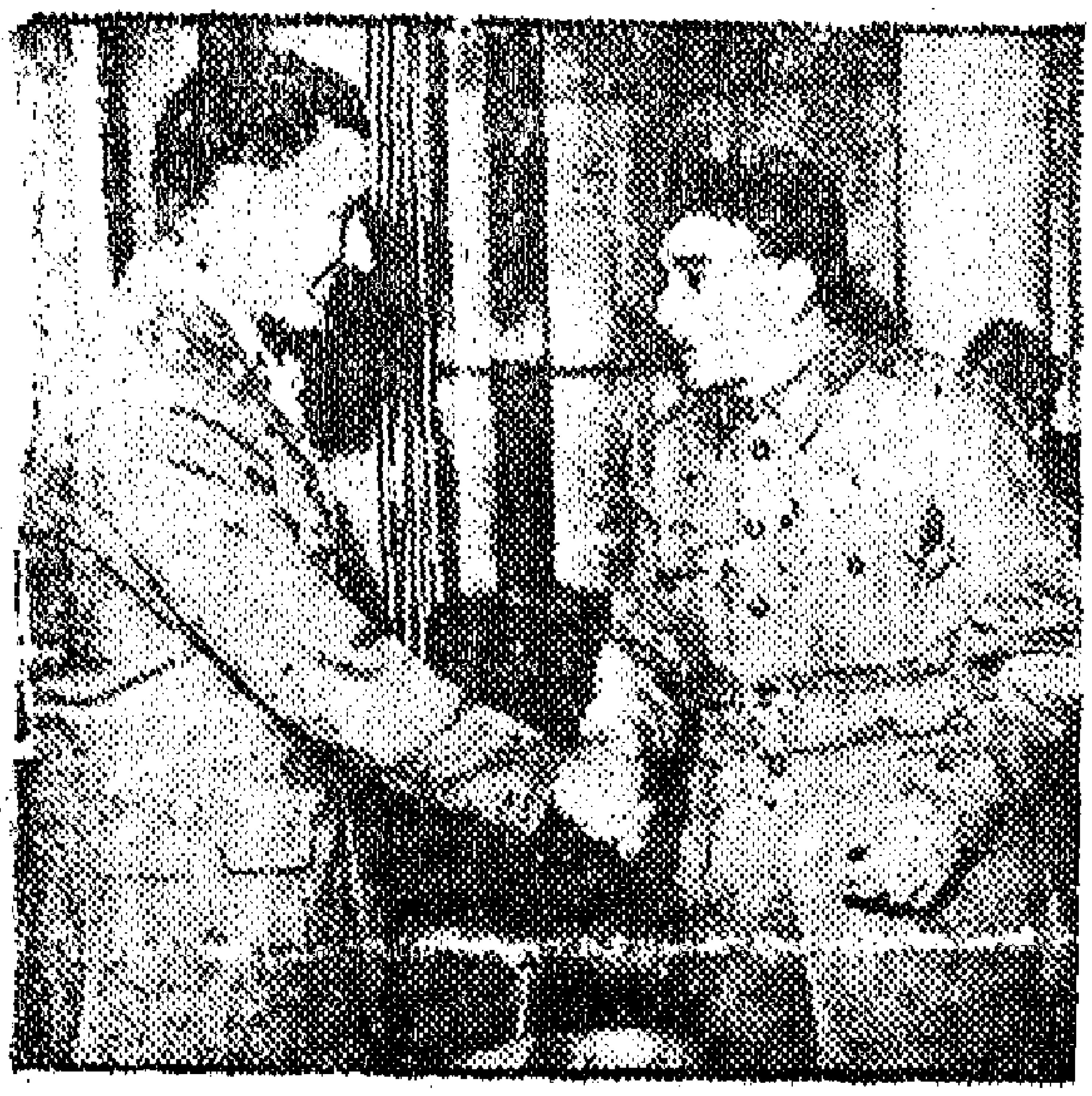

يقول الأستاذ صلاح شابور المحرر بمجلة الإذاعة والتليفزيون :—

قلت للواء محمد نجيب :—

هل صحيح أنه جرت محاولة لاغتيالك ؟؟

فقال :—

نعم . . وقد اعترف من كلف بتنفيذها وهو الضابط جمال القاضي . . الذي كتب مقالاً فى صحيفة (السياسة البيروتية) بعنوان . . (كلفت بقتل محمد نجيب) . . صرح بأن الأوامر صدرت إليه بالتخلص منى فى ليلة الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٥٦ .. والغريب أننى أحسست ليلتها بالخطر فوضعت سكيناً تحت وسادتى لأدافع بها عن نفسى عند الحاجة !!

وتنهد اللواء محمد نجيب وقال :—

ولكن هذه قصة لابد روايتها من أولها !!

فى يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ فوجئت بقوة من رجال البوليس الحربى تحضر إلى منزلى فى سيارة مصفحة فأخذتنى الدهشة . . ولكن دهشتى زالت

عندما أمرنى قائدهم بارتداء ثيابى لـكى أذهب معهم إلى استراحة « الصف » بحجة حمايتى من قنابل الأعداء !!

فذهبت معهم وأمضيت ليلة واحدة فى هذه الاستراحة . . .

وفى الصباح أجبرت عـلى السفر بقطار الصعيد إلى « نجع حمادى » فى ديوان مغلق وقف على بابه خمسة من رجال البوليس الحربى طوال الطـريق وهناك نزلت فى استراحة الرى . . وقضيت بها يومين . . وفى اليوم الثالث طلب منى الضابطان جمال القاضى . . وعبد الرحمن نصير — وكان أيامها من رجال البوليس الحربى . . الاستعداد للسفر إلى مكان آخر . . وانتابنى غيظ شديد . . فسألتهما فى ضيق :—

إلى أين هذه المرة ؟ ؟

وجاءنى الجواب سيلاً من الشتائم المقذعة التى لا تسمع إلا فى حوارى القاهرة !!

فلما طلبت منهما الـكف عن هذه الشتائم . . إذا بأحدهما يرفع يديه فى صدرى محاولاً ضربى !!

وهنا فقط هانت على الدنيا بأسرها .. فليس بالأمر الهين على رجل مثلى أن يتعرض للضرب .. وممن ؟ ؟ من ضابط صغير فى سن أبنائى لم يحترم شيخوختى ولا حتى رتبتى الـكبيرة !! فهجمت على الضابط لأدافع عن نفسى . . لـكنه كان أسرع منى . . وأصدر أوامره إلى جنوده فقيدونى وشلوا حركتى تماماً .. أعلنت احتجاجى على هذا التصرف بالإضراب عن الطعام . . بل والـكلام مع أى مخلوق لمدة يومين كاملين !!

وفى اليوم الثالث عدلت عن الإضراب . . لا خوفاً من الموت ولكن لاعتقادى أن الموت بهذه الطريقة يعد انتحاراً . . والانتحار يعرضنى لغضب ربى سبحانه وتعالى . .

المهم أننى نقلت بعد ذلك إلى مدينة « طما » ونزلت فى شقة أحد المحامين لمدة ٥٩ يوماً كنت خلالها محاطاً بحراسة عشرة من رجال البوليس الحربى . . لا يفارقوننى حتى فى أثناء النوم ! !

* * *

« خطة الحاكم »

كانت خطة الحاكم . . هى تحطيم أعصابى . . ودفعى إلى الانهيار ومن هنا كان حرصه على انتقاء حراس ممن لا أخلاق لهم . . ولا ضمير يؤرقهم . . حتى لا يتوانوا عن تنفيذ أوامره ! !

فمثلا : كان لدى فى بادىء الأمر سيارات مخصصة لخدمتى أو بمعنى أصح لخدمة أسرتى فقد كنت ممنوعاً من مغادرة هذه الفيلا فكان قائد الحرس يأمر السائقين بإدارة موتورات هذه السيارات كلها فى آن واحد فى الخامسة صباحاً فنستيقظ من نومنا منزعجين ! ! حتى أصيب ابنى بانهيار عصبى من جراء ذلك ! !

وذات يوم فتحت نافذتى وطلبت من قائد الحرس الكف عن هذه الصغائر . . فقال لى فى لهجة سوقية : — أدخل أحسن لك ! !

هذا ما كان يحدث لنا فى الصباح الباكر . . أما فى المساء . . فقد كان

هذا الضابط يأمر عشرات الجنود بالصعود إلى السطح ليظلوا رائحين غادين حتى الساعات الأولى من الصباح فإذا ما غلبنى التعب والإرهاق ونمت .. فانى كنت سرعان ما أستيقظ على صوت الموتورات وهكذا دواليك !!

« منعونى من العلاج »

ويضرب اللواء كفاً بكف .. وهو يقول :—

لقد كانوا يمعنون فى الإساءة إلى بصورة بشعة .. فمثلا أصبت بعد سنوات من هذه الإقامة الإجبارية بالتهاب فى عظامى .. وأجمع الأطباء على ضرورة دخولى المستشفى للعلاج ولكن ما قيمة اجماعهم إزاء إصرار الحاكم على حجبى عن الجماهير .. لقد رفض فكرة دخولى المستشفى .. ثم عاد وصرح لى بالتردد عليه مرتين فى الأسبوع .. وفى اليوم الأول لذهابى إلى المستشفى التقى بى جندى ممن خدموا معى فى فلسطين .. فاحتضننى وراح يبكى بشدة وهو يقول :— أين أيامك ؟ أين أيامك ؟

فلما عدت إلى منزلى وجدت فى انتظاوى أمراً بعدم مغادرته أياً كانت الأسباب !!

فهل تدرى ما الذى فعلته لأتم علاجى ؟

عالجت نفسى بنفسى .. وكان الدواء هو عسل النحل !! وقد شفانى الله من هذا المرض !!

إن المعاملة السيئة لم تكن مقصورة على وحدى .. بل تعدتنى إلى أبنائى « على وفاروق ويوسف » فتأثرت أعصابهم بدرجات متفاوتة .. وتسبب

الجو الإرهابى الذى كان يحيط بنا فى عدم حصول الأول والثانى على مجموع يؤهلهما لدخول الجامعة .. فسافرا إلى ألمانيا .. على لدراسة الهندسة .. وفاروق لدراسة الفنادق وبالنسبة لعلى أحب أن أقول لك أن هـذا الولد كان أحب أبنائى إلى وقد استطاع فى فترة بسيطة نسبياً أن يتزعم الطلبة العرب فى ألمانيا وكنت أتتبع خطواته بحب وتقدير شديدين . . وفجأة قيل لى . . إن ابنك قتل فى ألمـانيا فى ظروف غامضة . . ودهشت للنبأ لأننى أعلم أنه لم يكن له أعداء بل كان محبوباً من الجميع !! يومها طلبت السماح لى باستقبال الجثمان فى المطار فرفض طلبى . . فعدت وطلبت السماح لى بالصلاة على جثمانه فى جامع السلطان حسن . . فرفضوا أيضاً !!

وبعد رجاء وتوسلات سمحوا لى باستقبال الجثمان والصلاة عليه فى المقابر على أن يكون ذلك فى الثانية صباحاً . . فوافقت وكان لابد أن أوافق !!

وفى اليوم التالى أقمنا ليلة المأتم فى منزل أخى اللواء على نجيب بمنيل الروضة . . وكما منعنى الحاكم من استقبال جثمان ابنى فى المطار أصدر أمره بعدم جلوسى فى السرادق . . وامتثلت للأمر فقبعت فى شقة أخى . . وحرمت من استقبال المعزين !!

أما ابنى الثانى فاروق . . فقد لاقى فى ألمانيا الأمرين « من بعضهم » وآثر العودة إلى مصر قبل أن يلقى مصيره . . حيث عين بوظيفة صغيرة جداً لم يلبث أن تركها .. وهو الآن يعيش فى منزلى بلا عمل !!

أما يوسف .. فهو حساس للغاية . . وقد سببت له حساسيته هذه كثيراً من المتاعب فحاول الانتحار أكثر من مرة . . هرباً مما يلقاه من صنوف العذاب !!

فى مساء أحد الأيام جرى ناحية الشباك . . وهم بإلقاء نفسه . . فأمسكت به محاولا منعه وتصادف أن رآنا أحد الحراس . . فهرع إلى الضابط يخبره . . ويطلب منه السماح بالتدخل فقال له فى استخفاف :— وما شأنك أنت !! فلينتحر كما يشاء !!

واستطرد اللواء نجيب :— هذه حكايات لا أول لها ولا آخر هل تصدق أن هذا الولد حصل على دبلوم الصنايع . . وعين فى شركة النصر للتليفزيون فى عام ١٩٦١ على الدرجة الثامنة ولا يزال على هذه الدرجة حتى الآن !!

وفجأة توقف اللواء عن الحديث وقال :— سأحضر لك يوسف يحكى لك بنفسه !!

ودخل يوسف شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره شديد الشبه بأبيه قائلاً :—

هل تصدق أنى طلقت زوجتى بسبب أحد ضباط الحرس . . بعد أن لاحظت أنه يتعمد إهانتى أمامها . . وشيئاً فشيئاً عرفت الهدف . . إكتشفت أنه يبغي الحصول على إعجابها !! وبدأت أرقبه وتتبعت تصرفاته نحوها . . وذات يوم كتب هذا الضابط رسالة إلى زوجتى يحرضها فيها على الفساد !!

ولحسن الحظ وقعت هذه الرسالة فى يدى . . ليلتها سهرت أفكر وفى الصباح كنت قد وفقت إلى حل . . فاستدعيت المأذون وطلقتها !!

وعندما عرف الضابط أنها غادرت منزلى إلى الأبد جن جنونه وحرض ضدى جندياً إسمه على بدران تفنن هو الآخر فى إهانتى !!

وذات يوم نسيت نفسى وغفلت عما نحن فيه فضربت العسكرى فقامت

الدنيا ولم تقعد .. أخذونى إلى سجن طره .. وهناك ضربت ضرباً مبرحاً بعد أن جردونى من ثيابى تماماً وهم يأمروننى بسب أبى ولعنته .. والإشادة بالحاكم وحده !!

* * *

وفى المساء عدت إلى منزلى منهوك القوى .. محطم النفس تماماً .. وبعد أيام فوجئت بصدور قرار جمهورى بفصلى من عملى .. ودهشت جداً !! .. ورحت أقول لنفسى .. هل هذا معقول ؟؟ أن أفصل من عملى لمجرد أننى ضربت جندياً أهاننى مراراً .. ولكن دهشتى زالت بعد أن علمت أن هذا العسكرى ابن عم شمس بدران !!

ولقد كان لهذه الحادثة أثرها الرهيب على نفسى فأصبت بعدها بانهيار عصبى ودخلت بسببه مستشفى بهمان .. حيث أمضيت فيه أكثر من أربعة أشهر .. وقد عدت إلى عملى بعد ذلك .. وعلى وجه التحديد بعد سجن شمس بدران .. ولكننى لا زلت فى الدرجة الثامنة حتى الآن !!

* * *

الصامتون يتكلمون

وفى كتاب « الصامتون يتكلمون » . . يتحدث السيد كمال الدين حسين فيقول : —

إنه رسم خطة اعتقالى فى نفس اليوم الذى كان يستعد فيه لزفاف ابنته !! يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٥ — استدعى اللواء هلال عبد الله هلال مدير سلاح المدفعية وقتئذ . . والعقيد حسن خليل مدير المباحث الجنائية العسكرية إلى منزلى . . وأعطاهما الأمر باعتقالى فى الحال !!

وجاء الإثنان إلى منزلى مساء يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٥ . . كنت جالساً فى غرفة مكتبى مع عـدد من الضيوف . . حسن عبد المنعم رمضان رئيس هيئة الإذاعة والتليفزيون . . ومحمـد مصطفى هاشم . . وبخيت رمضان من الأصدقاء . . وأنور أبو العطا زوج شقيقتى . . وكان يشغل منصب رئيس مجلس مدينة القناطر . .

وفى يوم ١٣ كتوبر ١٩٦٥ أى بعد إرسال خطابى « إتق الله » إلى الحاكم عبد الناصر وزميله عبد الحكيم عامر بيوم .. وقبل اعتقالى بيوم فوجىء بحمدى عبيد وزير الحكم المحلى يتصل به ويبلغه قرار إحالته إلى المعاش فوراً على أن يخلى مسكنه الحكومى فى الحال .. واتصل بى أنور وأبلغنى ما حدث .. فاتصلت بالأخ عبد اللطيف البغدادى .. وكنت قد أعلمته برسالتى .. « إتق الله » وقلت له :—

لقد أحالوا زوج شقيقتى للمعاش .. وهذا أول الغيث !! قطرة ثم ينهمر السيل .. فضحك وقال لى :—

أنه يتوقع الكثير .. فقلت له :— وأنا مستعد لأى شىء !!

ويصمت كمال الدين حسين لحظة .. ثم يستأنف حديثه عن كيفية اعتقاله فيقول :—

كنت جالساً فى مكتبى مع من ذكرت لك أسماءهم .. وجاءنى الشغال يبلغنى أن هناك زائرين فى الصالون .. وتركت ضيوفى لأرى القادمين .. كانا هلال عبد الله .. وحسن خليل .. ورحبت بهلال وصافحت حسن خليل .. وبدا على هلال الحرج .. وشجعته للحديث ..

قلت له :— خير يا هلال ؟؟

وقال .. والحرج يبدو من اهتزاز صوته :—

سيادة الرئيس عايزك تستريح شوية فى الهرم .. واحنا أعددنا كل شىء !!

قلت له :— عندى ضيوف .. وأرجو ألا يمس أحد منهم شىء !!

فقال لى :— لا شأن لى بهم . . إننى أنفذ أمراً أن تتفضل معانا ! !

وقلت له :— سأصعد لإعداد حقيبة ملابسى . . وصعدت إلى الطابق الثانى من الفيلا التى كنت أقمتها فى الدقى ثم بعتها لعدم قدرتى على سداد الأقساط بعد ذلك ! !

وقلت للمرحومة زوجتى . . أن تعد حقيبة بهـا ملابس لى . . لأنه صدر قرار باعتقالى ! !

وفوجئت بها تقول لى :—

مش ممكن أسيبك أبداً . . مش ممكن تروح لوحدك . . لازم أروح معاك زى ما كنا نعيش سوياً . . لازم نعتقل سوياً . . الله يرحمها رحمة واسعة . .

حاولت إبقائها وإقناعها لترعى الأولاد . . ورفضت . . حاولت إقناعها أنهم قد يعترضون على ذهابها معى . . ورفضت ! !

ونزلت إلى هلال وقلت له :— أبلغ أن الست حرمى ستصحبنى ! !

فأجاب وكأن عنده تعليمات سابقة :— مفيش مانع ! !

وجمعت ملابسى . . وذهبت أنا وحرمى إلى فيلا الهرم .. وهى كانت فى الأصل .. استراحة للحاكم ! !

وعندما اقتربنا منهـا وجدنا أنها تحولت إلى « معتقل » أسلاك شائكة تشكل خط أول للحراسة . . ثم أسلاك شائكة على مسافة ٥٠ متراً . . تمثل خط حراسة ثان . . ثم وصلنا للخط الثالث من التحصينات . . وأضيف إلى « الأسلاك الشائكة » دشمة بها الجنود والحرس مزودين بمدافع ماكينة ! !

ودخلنا الفيلا . . وعلى كل باب من أبوابها حارساً . . وتحت كل نافذة من نوافذها حارساً . . والفيلا نزعت منها كل أجهزة التليفون !!

وبقيت فى تلك الليلة ساهراً أفكر فيما تم بالنسبة إلى بقية أفراد عائلتى.. بالنسبة إلى أصدقائى الذين كانوا بالمنزل . . ومنعونى من العودة إليهم . . حتى لتوديعهم !!

وعلمت بعد ذلك أنه بمجرد خروجى من منزلى . . اقتحم المنزل رجال المباحث الجنائية العسكرية . . فتشوا كل شىء . . حتى الملابس الداخلية . . وأخذوا كل ما عثروا عليه من أوراق !!

كنت أكتب مذكراتى كلما تسنح لى الفرصة . . أخذوا هذه المذكرات !! ومن بين الأوراق مسودة خطاب . . كنت أعتزم إرساله إلى عبد الناصر . . خسارة أنهم أخذوه !! ولكن بعض عباراته لازالت عالقة فى ذهنى . . اننى قلت له فى ذلك الخطاب :—

إننى لا أحقد عليك . . ولكننى أرثى لحالك . . أنت الذى كنت تقول للناس « إرفع رأسك يا أخى » .. فأخفضت جميع الرؤوس !! أنت الذى كنت تقول .. «إن بناء المستشفيات والمصانع سهل .. ولكن بناء الإنسان صعب». فحطمت كل الرجال !! إنك لا يصح أن تكون سعيداً . . وأنت حاكم لشعب فعلت به كل ذلك . . اننى لا أندم على شىء إلا أنى بيدى اشتركت معك !!

وقد أعطوا هذه المسودة لعبد الناصر . . واستغلها فى اطلاع كل ذى شأن من العرب أو الزملاء عليها . . عندما كانوا يسألون عن سبب اعتقالى !!

وكانوا قد منعوا ضيوفى من الخروج . . ثم اصطحبوهم معهم إلى السجن الحربى . . بل وكانت شقيقة زوجتى فى زيارتنا . . فسألوها عن زوجها . . فتحى سلام . . الضابط بالجيش . . وعندما قالت لهم . . أنه بالمنزل . . طلبوا منها أن تتصل به وتدعوه إلى الحضور . . وعندما اتصلت به وحضر . . اعتقلوه هو الآخر . . بل تصادف أن حضر . . عبد القادر حجاج . . وهو من أقاربى فى ذلك الوقت لزيارتى . . فاعتقلوه هو الآخر ! !

وكانت هذه هى الصورة لما حدث فى منزلى . . أما فى البلد حيث كان يقيم والدى . . كانت هناك صورة مماثلة . . ولكنها فى اليوم التالى لاعتقالى ! !

فوجىء والدى يوم الجمعة ١٥ أكتوبر . . بحكمدار القليوبية . . واثنان من مفتشى المباحث العامة . . ومأمور بندر بنها . . واثنان من الضباط برتبة رائد يحضرون إلى منزله فى بنها . . وكان أبى طريحاً للفراش . . وأبلغته الشغالة بحضور الموكب الرسمى . . وطلب منها دعوتهم إلى غرفة نومه . . ودخل الحكمدار . . وخلفه الجوقة الرسمية . . ولم يكد يراهم الوالد . . حتى بادرهم بالسؤال :—

وأنا كان ح تعتقلونى ؟ !

ورد الحكمدار قائلاً :— أنه آسف لأن ينفذ أمراً بتحديد إقامته فى منزله . . ورفع التليفون . . ومنع الاتصال به ! !

وصرخ أبى فيهم :—

الله يخرب بيته . . هو عشان ابنى ما أرسل له خطاب يقول له « اتق الله » . . يعمل كده فينا ؟ !

فهرول الجميع إلى غرفة الجلوس . . حتى لا يسمعوا بقيــة ثورة أبى . . وبعد أن شربوا القهوة تركوا مجموعة من الجنود والمخبرين . . تحيط بالمنزل من جهاته الأربع . . وأقاموا خيمــة أمام باب المنزل لمبيت حضرة الضابط رئيس القوة . . ولتكون « نقطة شرطة » ! !

* * *

وفى مساء نفس اليوم حضرت شقيقتى من القناطر . . بعد أن أخرجوها من المنزل الحكومى الذى كان يشغله زوجها أنور أبو العطا رئيس المدينة . . وأرادت دخول منزل والدها . . فمنعها رجال الحرس تنفيذاً للتعليمات الصادرة إليهم بمنع دخول أحد ! !

حاول أبى التفاهم معهم .. وأصروا على موقفهم .. ولم يسمحوا لها بالدخول إلا بعد أن استأذنوا من المحافظ بدخولها منزل أبيها . فأذن لها ! ! . .

***

« قصة القائمقام رشاد مهنا »

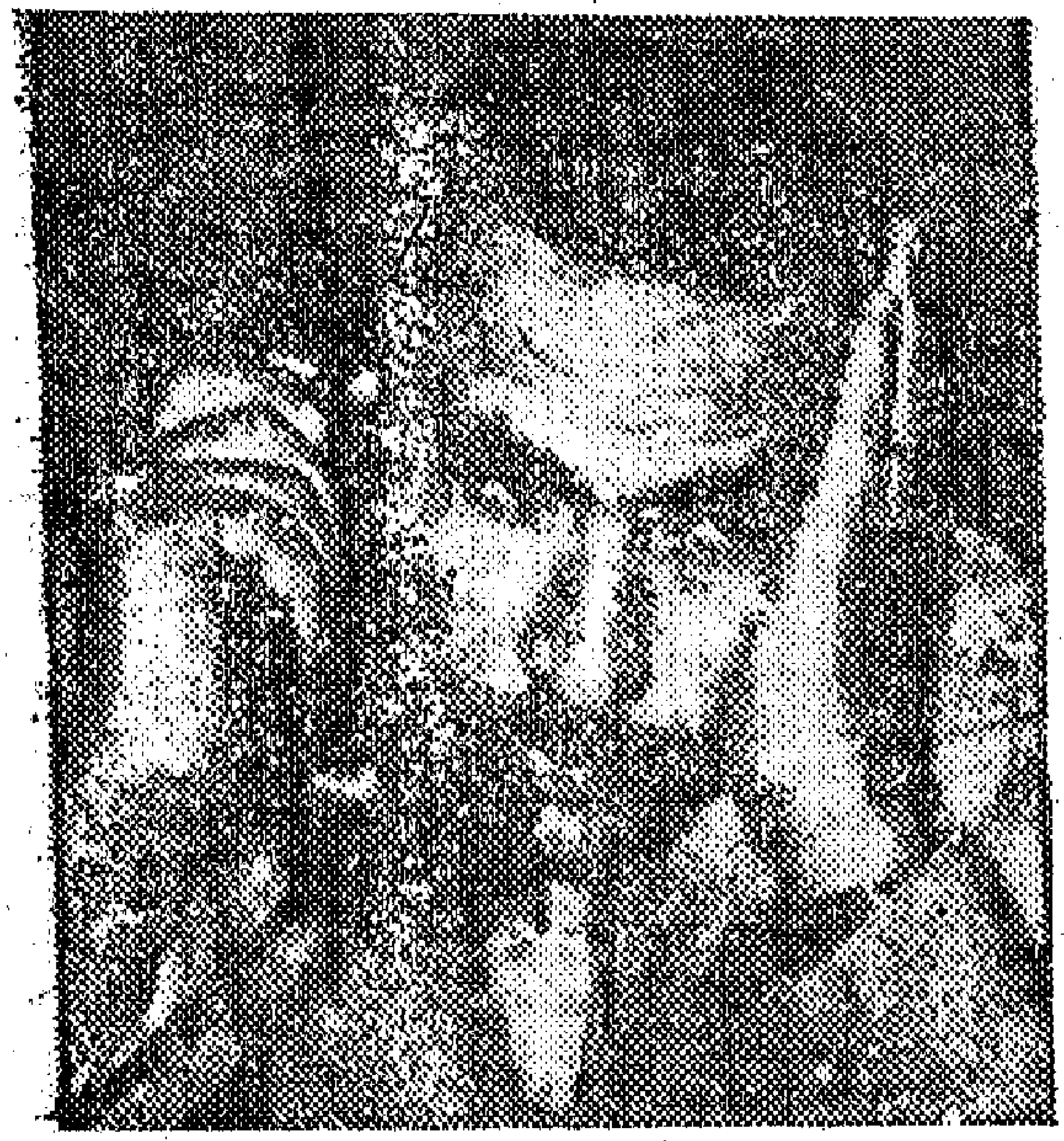

ومن حديث صحفى للأستاذ حمدى لطفى .. المحرر العسكرى بمجلة المصور يقول على لسان القائمقام رشاد مهنا :—

لقد طلب منى بعض ضباط المدفعية أن أسافر إلى الاسكندرية ونحن نستعد لعزل الملك .. ووذهبت إلى الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو يوم غادر « فاروق » البلاد ! !

وفى المساء التقيت بالرئيس أنور السادات داخل ثكنات مصطفى باشا .. وكانت مفاجأة له .. لأنه سألنى :—

هل أنت معنا ؟ هل أنت واحد منا ؟

وعرفت فى تلك اللحظة أن الرئيس جمال عبد الناصر اخفى عن بعض زملائه تطورات صلتى بهم حرصاً على الانفراد بالسلطة ! !

وبدأت مرحلة جديدة من العذاب مع الأيام الأولى من أغسطس ١٩٥٢ حاولت أن أقول لعدد كبير منهم من ضباط القيادة .. وأعوانهم من صغار الضباط .. أن الثورة أخلاق وسلوك راق .. وأن الثورة سمو عن الصغائر .. وتجاوزاً للأحقاد .. وأن الثورة ليست أجازة متعة فنطلق العنان لغرائزنا .. وأن الثورة تحتاج إلى الرؤية الناضجة والنظرة الواعية .. والخبرة والتجربة ! !

وتحدثت بعد ذلك مع عبد الناصر وبعض رفاقه .. وشرحت لهم أخطار الديكتاتورية ومصيرها ومكاسب الشعب والثورة إذا لجأنا إلى الديمقراطية

ولم يتوقف المـزل والخطأ وانهالت القرارات المطلوبة وردود الفعل . .
وسمعت من يقول أمامى . . مليون — ٢ مليون . . يموتوا !! يموتوا
من أجل الثورة . . وماله ؟ !

تحدثنا فى مستقبل الوطن . . وكان مطروحاً أمامنا للمناقشة الغاء النظام
الملـكى . . واعلان النظام الجمهورى . . وعرضت وجهة نظرى . . وتتلخص
فى أن نشرح لجماهير الشعب عن طريق التوعية وأجهزة الاعـلام . . ما هو
النظام الملـكى ؟ وما هو النظام الجمهورى ؟ وقد يستغرق هـذا بعض الوقت
حتى يصبح الشعب قادراً بوعى على إصدار حكمه الصحيح . . وعن طريق
الشعب يتحدد مصير الملـكية فى مصر . . وتـكون الثورة فى وضع يسمح لها
بترشيح من تراه لرئاسة الجمهورية إذا قرر الشعب إقامة الجمهورية . . ولا داع
للعجلة والمشوار أمامنا طويل !!

ولم يرق هذا الـكلام لجمال عبد الناصر . . وقال أننى أضع العراقيل أمام
الثورة . . وأننى أطمع فى منصب رئيس الجمهورية .. ويعلم الله أن ذلك لم يدر
بذهنى أبداً !!

« المحاكمة »

فى تلك الأيام من أكتوبر ١٩٥٢ صباح ١٢ أكتوبر بالتحديد أرسل
جمال عبد الناصر إلى رشاد مهنا يقول له : — إنه يريد أن يلتقى به لقاءً خاصاً
يتحدثان فيه بصراحة . . وحدد له بيت ضابط صديق لهما فى منطقة كوبرى
القبة . . وهو بيت السيد « محمود غراب » وكان الموعد فى مساء اليوم نفسه..
وذهب رشاد مهنا إلى الموعد . . وبقى مع غراب حتى ما بعد منتصف الليل
ولم يحضر عبد الناصر !!

وفى صباح ١٣ أكتوبر كان رشاد مهنا يستمع إلى راديو لندن . . وإذا به يذيع قرار إقالة مجلس قيادة الثورة فى القاهرة لرشاد مهنا . . ممثل الثورة فى لجنة الوصاية على العرش . . ولم يصب بالدهشة . . ولم يغادر بيته . . وعرف أنه لا فائدة من الحوار ! !

وبعد دقائق أطل من نافذة بيته . . فوجد جنود الشرطة العسكرية يحوطون بالبيت ! !

وقال الرجل لأسرته أنه تصرف حسن وطيب بالنسبة لى .. لأنه سرعان ما يعرف الجميع ضباطاً ومدنيين أن الشرطة العسكرية حول البيت .. فيمتنعون عن زيارتى . . وبالتالى لا يقبض على أحد بسبب رؤيته أو زيارته لى ! !

وظل السيد رشاد مهنا محدد الإقامة فى منزله . . حتى جاءوا يوم ٧ يناير ١٩٥٣ وقبضوا عليه ونقلوه إلى السجن الحربى . . وبقى به إلى أن عقدوا مجلس قيادة الثورة على شكل محكمة خلال الأيام الأولى من مارس . . وانعقدت المحكمة بمبنى قشلاقات قصر النيل بميدان التحرير ! !

وروى الرجل :—

كانت المحاكمة الساعة ٣ صباحاً . . كل الأعمال الكبيرة ذات الأهمية بالنسبة لهم كانوا يقومون بها ليلاً ! !

ودخلت إلى قاعة الاجتماع . . وجلست إلى مقعدى ونظرت إلى ساعتى كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ! !

وطلب جمال عبد الناصر إلى زكريا محيي الدين أن يقرأ الادعاءات ! !

وقرأ كثيراً من الخيال !! وفهمت أنهم يحاكموني لأنني حاولت الاستيلاء على السلطة لحساب الإخوان المسلمين تارة . . وتارة لحسابي !!

وسألوني :— هل أنت مذنب ؟ ؟

وتحدثت . . قلت لهم . . سأعيد على مسامعكم صلتي بكم . . وما قمت به معكم . . ومن أجل الثورة . . واستمعوا لي طويلا ووجوههم سوداء من الخجل والاضطراب !!

وجاءوا بشهود الإثبات . وعرفت بعد ذلك أن هؤلاء الشهود كان مقبوضاً عليهم بتهمة التآمر أيضاً . . وقد صدرت أحكام بسجنهم مع الحكم الخاص بي . . ولكنه . . أي الرئيس الراحل أفرج عنهم بعد فترة قصيرة وألحقهم بأعمال مختلفة في أنحاء الدولة !!

وحاول زكريا مناقشة الشهود بحدة وخشونة . . ولكنهم لم يعدلوا عن كلامهم . . قالوا فعلا أنهم قاموا بزيارتي وتحدثنا في مصير ثورتنا . . وفي ضرورة الحفاظ على ديننا . وضرورة التمسك بالأخلاق في معاملاتنا وقراراتنا ولم نتحدث في أمر الانقلاب !!

وعلمت بعد ذلك أنهم أصدروا الحكم بسجني مدى الحياة ونشروا في الصحف صفحات عن القضية وربطوا بيني وبين الشهود المقبوض عليهم . وجعلوا منها قضية واحدة . . « قضية تآمر » !!

وسمعت أن عبد الناصر قال لزواره ورفاق السلاح . . إن أعضاء المجلس أجمعوا على ضرورة إعدام رشاد مهنا !!

وأنه هو عارض هذا الاتجاه . . وبذل مجهوداً كبيراً حتى وافقوا على المؤبد بدلا من الموت !!

قصتى مع الثورة

تحت هذا العنوان كتب القائمقام أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ فى جريدة « التعاون » يقول : —

فى المساء كان من المقرر إقامة حفل عشاء بنادى الضباط لرؤساء أركان الجيوش العربية الذين كانوا موجودين بالقاهرة . . ولم أستطع الذهاب لهذا الحفل بسبب المرض .

وبعد الظهر إذا بأحد قادة الكتائب .. وكان اسمه عبد الحليم عبد العال يأتى إلى فى منزلى . . وأخبرنى أنه سأل عنى فى مكتبى صباحاً .. ولم يجدنى .. فأخبرته بأنى مريض وملازم للفراش .. وإذا بعبد الحليم عبد العال يسألنى : —

ما رأيك فيما يحدث الآن ؟

وفهمت على الفور أنه يقصد الأحداث التى تدور حول انتقال بعض الضباط للعمل المدنى مع زملائهم من رجال الثورة الذين احتلوا مناصب وزارية !!

وقلت له : — لقد أبلغت جمال عبد الناصر .. وليتصرف هو بما يراه .. كما أبلغت عبد الحكيم عامر !!

وقلت له : — أننى أحسست بروح طيبة للتفاهم مع الضباط .

واستمر عبد الحليم عبد العال يوجه لى أسئلة عديدة . . ويسألنى عن رأيى فى كل شىء . . وأنا أتحدث معه على ضوء المعلومات التى سمعتها . . وعلى ضوء مقابلتى بكل من جمال وعبد الحكيم كما أسلفت فاننى لم أذهب للاحتفال

المقام ينادي الضباط بسبب المرض . . ولكنني لا أعرف كيف انتشرت الشائعة التي أطلقت في هـذا اليوم . . والتي كان مضمونها بأنني سأذهب إلى الجبل . . وسأحرج جمال عبد الناصر أمام قادة الكتائب !!

وفي صباح اليوم التالي الأربعاء ٢ سبتمبر . . ذهبت إلى مكتب عبد الحكيم عامر . . وهناك فوجئت بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وجمال سالم . . يجلسون حول منضدة في شكل اجتماع . . وكان أمام زكريا محيي الدين ورقة ودعوني للجلوس فجلست معهم .

وإذا بجمال عبد الناصر يسألني :— ألا تعلم أن الثورة الروسية قتلت الكثيرين من قادتها ؟

وأوقعني السؤال في حيرة . . وأثار دهشتي !! . . وجعلني أتيقن أن وجود هؤلاء الأربعة في مكتب القائد العام . . ليس بغرض الزيارة . . ولا هو محض صدفة . . وأن الورقة التي أمام زكريا لابد أنهم يدونوا فيها أشياء سرية !!

فاجأني عبد الناصر بقوله مباشرة :— ماذا تريد ؟

وهنا تدخل جمال سالم في المناقشة بأن وجه لي عبارات لا تليق .. فرددت عليه بجفاء وربما أحس عبد الناصر أن جمال سالم سيخرج بالنقاش عن الخط المرسوم له . . فنظر إليه ملياً ثم قال له :— لو سمحت أخرج بره . . وخرج جمال سالم وقال لي جمال عبد الناصر : — ابنك بيعمل ضدنا !!

والواقع أن ابني رغم سنه ورتبته كان من الضباط الأحرار إذ انضم لتنظيمهم بمعرفة حسين الشافعي الذي كان ممدوح يعمل تحت قيادته في سلاح

الفرسان فأجبت جمال على الفور :— أنه ليس ابنى . . إنه زميلى وضابط فى الجيش مثلى فيمكنكم توجيه أى تهمة إليه ومحاكمته عسكرياً !!

فقال عبد الناصر :— وأنت جمعت ضباط الكتائب لإحراجى فى نادى الضباط . . وعندى الشهود على ذلك . . فأجبته فى ترو :— أولاً هذا الكلام لم يحدث بدليل أننى بلغتك بما حدث . . وأبلغت عبد الحكيم . . ولو كان عندى نية التآمر لما أبلغتكم ولأشعلت النار . . ثم قلت له ثانياً :— يؤسفنى أنك ستستمر فى الثورة ومعك أناس كذابون أفهموك أننى أتآمر على الثورة . . وأنت تصدقهم . . وأفهمته أننى مستعد لمواجهتهم !!

وقام جمال عبد الناصر وخرج ثم عاد بعد قليل ومعه كل من عبد المحسن أبو النور وحمدى عبيد وعبد الحليم عبد العال . . وقالوا جميعاً ما يوحى بأننى كنت أجتمع معهم للتآمر على الثورة . . فكذبتهم جميعاً . . لأن كل ما دار بذهنى بينى وبينهم هو ردى على استفساراتهم عن رأيى فى الأوضاع التى أبلغت بها عبدالناصر وعبد الحكيم .. ثم توجهت بحديثى إلى جمال قائلا :—

يؤسفنى أن هؤلاء سندك . . وهم أناس كذابون وانتهازيون . . ولو كانت لى نية التآمر لما أبلغتك بأى شىء . . وخرج شهود الباطل وبقيت مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين .. وطالت بنا الجلسة وتناولنا الغداء معاً وامتدت الجلسة لأكثر من سبع ساعات !!

وفى النهاية إذا بجمال عبد الناصر يسألنى :— ما رأيك لو أرسلناك سفيراً فى لبنان ؟؟

فقلت له :— أنت تتهمنى بالتآمر . . فكيف تعيننى سفيراً ؟ ؟ ثم أننى ضابط . . ولا أريد أن أبقى إلا ضابطاً ! !

قال جمال بتصميم :— إذن خذ أجازة شهرين . . وابق فى الاسكندرية لا تغادرها ! !

ثم قدمت استقالتى من جميع مناصبى .. ثم توالت الأحداث بعد ذلك . . وانتهت بمحاكمتى وسجنى فى ٢١ مارس سنة ١٩٥٤ ! !

إلى أن كان يوماً من عام ١٩٥٦ حيث توجهت زوجتى وبغير أن تخبرنى لمقابلة « صلاح الشاهد » وهو قريب لنا . . وصممت ألا تبرح مبنى رئاسة الوزراء إلا إذا علمت متى سيفرج عنى ؟؟

ودخل صلاح الشاهد إلى على صبرى . . وكان مديراً لمكتب رئيس الوزراء — حيث وجده يتحدث تليفونياً مع الرئيس عبد الناصر . . فأخبره بأن زوجتى معتصمة حتى يفرج عنى . . وبالفعل أبلغ على صبرى الرئيس بذلك . . فأصدر أمراً بالإفراج عنى صحياً يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٥٦ . . وهو عيد ميلادى . . وعدت لمنزلى بمصر الجديدة ! !

ومن الغريب أنى علمت بعد ذلك أن الرئيس عبد الناصر — رحمه الله — قد تعجب حين قال له على صبرى ان زوجتى تطالب بالإفراج عنى وسأله :— هو أحمد شوقى لسه فى السجن[1] ؟ !

* * *

(١) فى هذا دلالة على أن هناك أمور خطيرة كانت تحدث ولا يعلم بها عبدالناصر .

الجمعية السرية التي تحكم مصر !!

هذا المقال .. هو أجرأ مقال كتب فى عهد «الثورة» .. و نشر بمجلة «روز اليوسف» بتاريخ ٢٢ مارس ١٩٥٤ .. للأستاذ «احسان عبد القدوس» ونال كاتبه الكثير من الظلم والاضطهاد بسبب نشر هذا المقال !!

ثم أعيد نشره مرة ثانية أيضاً فى «روز اليوسف» .. بعد ثورة التصحيح بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩٧٥ .

من يحكم مصر منذ قيام حركة الجيش ؟؟

إنه مجلس الثورة ..

ماذا تعلم أنت عن مجلس الثورة .. وما يدور فيه .. وماذا يعلم عنه أى مصرى .. سواء كان مقرباً من أعضاء هذا المجلس أو بعيداً عنه ؟؟

لا شىء غير البتة !!

إنه جمعية سرية لا تزال كما كانت قبل الحركة تعمل تحت الأرض ويجتمع أعضاؤها بالنهار والليل لا يعلم أحد عما يتحدثون !! وماذا يقررون !!

وكان هذا هو الخطأ الأكبر والأول !!

فأعضاء مجلس الثورة لم يستطيعوا — دون قصد منهم — أن يدركوا

بين وضعهم قبل الحركة — ووضعهم بعد الحركة . . ولم يستطيعوا أن يفرقوا بين واجبهم كجماعة تعمل لقلب نظام الحكم . . وجماعة تعمل لاستتباب نظام الحكم !! ولم يستطيعوا أن يفرقوا بين الأيام التى عاشوا فيها يخافون . . القانون . . والبوليس . . والمخابرات . . والأيام التى جمعت فى أيديهم . . القانون . . والبوليس . . والمخابرات !!

وارتاحوا إلى هذه الطريقة فى العمل . . ونجحوا فيها . . ولم يحاولوا تبديلها أو تعديلها . . وظلوا دائماً بعيدين . . هناك وراء الجدران . . حيث لا يراهم أحد . . ولا يسمعهم أحد . . ويصدرون قراراتهم فجأة بلا مقدمات . . كأنها منشورات سرية . . لا يدرى أحد من أين صدرت !! . . ولا كيف نوقشت قبل أن تصدر ؟!

وكانت أعمال هذه الجمعية السرية تخفى — ولا تزال — حتى على من يتعاونون معهم من الوزراء والمستشارين !!

وعندما كان على ماهر رئيساً للوزارة الأولى عقب الثورة . . كان يفاجأ بالقرارات التى تصدر كما يفاجأ بها كل الناس !!

فوجىء بقرار تحديد الملكية !!

وفوجىء بجميع الخطوات التى تمت فى عهد وزارته . . والتى كان من المفروض أن يشترك فى تحمل مسئوليتها !!

ثم لم يعد يتحمل مزيداً من المفاجآت !!

* * *

وبعد أن تولى الرئيس محمد نجيب رئاسة الوزارة . . لم يتغير الحـال !!
وظـل مجلس الوزراء وليس له من سلطات إلا سلطات إدارية وفنيـة . .
ولا يدرى شيئاً عما يدور هناك فى مجلس الثورة .. ويفاجأ كما يفاجأ كل الناس
بالقرارات الخطـيرة التى تصدر ويتوالى صدورها ويقرأ فى الصحف أخبـار
الاجتماعات والمقابلات والمباحثات كما تقرأها أنت . . وكما أقرؤها أنا !! حتى
أجمع الوزراء المدنيون على تقديم استقالتهم احتجاجاً عـلى تجاهلهم وجهلهم
بمجريات الأمور !!

* * *

وأن من حق الشعب أن يعرف صاحب السلطة عليه حتى يحاسبه . . ولو
لم يكن الوحيد الذى يملك السلطان . . وليس لأحد حساب عليه غير الله !!

ليس هناك إلا طريق واحد . . هو أن نصدق كل ما يقـال لنا . . ثم
نستغله !!

أن نصدق حرية الصحافة . . ونكتب ما نشاء . . حتى لو لم يكن هناك
قانون يحمينا من المحاكمة !!

أما أن نقف جامدين فى انتظار مفاجأة . . وفوق شفاهنا كلمات السخط
والنقد والتردد وعدم الثقة فلن يؤدى بنا ذلك إلى شىء إلا أن نفسح المجـال
«للطاغية» !!

والعبيد هم الذين يخلقون « الطغاة » !!

جمال عبد الناصر الديمقراطى

ويتحدث الأستاذ محمود الجيار في مجلة « روز اليوسف » .. عن جمال عبد الناصر الديمقراطي .. فيقول :—

عاش جمال عبد الناصر حياته — منذ نجاح الثورة — أسير حلم مستحيل !!

كان يقرأ أن الثورات تأكل أبناءها .. وكان حلمه أن تتمرد ثورته على هذا القانون .. فلا تأكل أحداً من الذين قاموا بها مهما نشب بينهم من خلاف !!

ولكن إصراره على تحقيق هذا الحلم كلفه غالياً .. هكذا يقول لنا رجل عبد الناصر وظله وموضع سره وخرزته الزرقاء التي يتفاءل بها .. « محمود الجيار » !!

يقول الجيار :—

كان عبد الناصر جاداً في إقامة نظام ديمقراطي في مصر وكان بطبيعته يستكشف قبل كل قرار آراء مختلف المستويات التي تتعامل معه !!

وكان قد أعد فترة للانتقال بعد الثورة بثلاث سنوات وأعلن أنه بعدها

ستتمتع مصر بدستور ديمقراطي . . ولكن الفترة امتدت عاماً آخر « بعد ١٩٥٥ » بسبب المعارك التي خاضتها البلاد خاصة ضد حلف بغداد الاستعماري !!

وبدأ عبد الناصر يستعد لتزويد مصر بالدستور الموعود . . بدأ يقرأ كل ما يتعلق بالقضايا الدستورية في مصر والخارج . . وكانت هذه من سماته المميزة منذ تولى الحكم . . أن يقرأ بافراط وطلب من مكتبه أن يزوده بدساتير العالم شرقاً وغرباً . . وعندما فرغ من الاطلاع عليها . . طلب أن تطبع نسخ منها جميعاً . . وتوزع على كافة الضباط الأحرار والوزراء حتى يمكنهم على أساسها المشاركة في وضع الدستور المصري الجديد .. أول دستور بعد ثورة يوليو !!

لكن عبد الناصر كان رجلاً عملياً أيضاً . .

ففي نفس الوقت كان يفكر في الطريقة التي سيمارس بها الضباط الأحرار رسالتهم في ظل الوضع الديمقراطي القادم !!

ان السلطة بمقتضى الدستور .. ستمنح كلها لمجلس الأمة ولن يعود الضباط يمارسون السلطة المطلقة التي تمتعوا بها منذ عام ١٩٥٥ !!

ولكي تستمر الثورة يجب أن يكونوا قادرين على مواصلتها من داخل المجلس . . لا من مكاتبهم في القوات المسلحة !!

ولهذا بدأ عبد الناصر عملية فريدة من نوعها . . عملية إعداد بعض الضباط الثوار لدخول معركة الحياة السياسية المدنية !!

وكانت طريقته بالغة البساطة . . اتصل بالضباط الذين يعرف أنهم أكثر

ميلاً للعمل السياسى وأقدر على النجاح فيه .. وطلب منهم أن يتركوا مواقعهم في الجهاز العسكرى الحاكم . . ويخوضوا معترك الانتخابات التى ستجرى لأول مجلس للأمة . . ويمارسوا السلطة من مقاعده ! !

وكان من بين الذين اختارهم لهذه التجربة الديمقراطية . . عبد اللطيف البغدادى . . وكان أمله كبيراً فى أن تنجح التجربة على يديه ! !

ولكن . . تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ! !

من البداية كان يبدو أن الذين تعودوا أن يحكموا بالسلطة المطلقة . . دون رقابة من أحد . . لن يقبلوا بسهولة أن يرضخوا لرقابة ! !

ولكن عبد الناصر كان يأمل . . أو يحلم بأن يتعودوا الأسلوب الجديد !!

وكانت له قبل ذلك تجربة .. رواها الرئيس السادات فى كتاب « أسرار ثورة يوليو » عندما صوت مجلس الثورة على فرض نظام ديكتاتورى . . فقدم عبد الناصر استقالته وترك الاجتماع . . وتداول المجلس فى غيابه . . وقرر النزول على رأيه . . وذهب يدعوه أن يعود ويحكم معهم بطريقة ديمقراطية ! !

ولكن ذلك كان فى أيام الثورة الأولى . . أما الآن فقد تغير كثيرون من زملاء عبد الناصر بعد أن ذاقوا حلاوة السلطة المطلقة ! !

* * *

لم يكن عبد الناصر طاغية كما يظن بعض الناس . . كان دمث الأخلاق . . مهذبا حازماً . . واضحاً صريحاً يتفهم مايعرض عليه . . ثم يصدر قراره فيه . .

وكان إذا روجع فى قراره يفكر مرة ثانية . . ويقنعك بوجهة نظره أو يتخلى عنها . . إلا أن البعض . . سامحهم الله كان يفضل الموفقة على المناقشة ... وكانت له لفتات تنم عن تقديره لشعور الإنسان . . . وكان من مزاياه حسن الاستماع . . . كان محدثاً لبقاً . . ويبدو دائماً . . لبقاً . . مهذبا . . مجاملا . .

وكان يقول للوزراء :—

أرجو الإتصال المباشر بى فى أى وقت لأى شيء هام . .

هكذا يقول الأستاذ فتحى رضوان...وزير الثقافة والإرشاد السابق ... والدكتور عبد الوهاب البرلسى وزير التعليم العالى السابق .. وكلاهما كان وزيراً فى عهد جمال عبد الناصر . . وظلا يعملان تحت رئاسته مدة طويلة . . فهى شهادة شاهد عيان !!

يقول الأستاذ فتحى رضوان وزير الثقافة والارشاد القومى السابق فى مجلة « الفجر » القطرية : بعنوان :

(٧٢ شهرا . . مع عبد الناصر) . .

« عبد الناصر واختيار الرجال »

ليس أشق على أى رئيس دولة من أن يختار رجاله الذين يعملون معه وينفذون أوامره . . ويقترحون عليه الأفكار والمشروعات وينصحونه . . أو ينفذون قراراته عند الاقتضاء .

فإذا وفق الرئيس لإختيار الرجل الصالح والمناسب فان بطانة الرئيس المقربة إليه . . والحبيبة إلى قلبه قد لاتقبل هذا الرجل . لأنها ترى فيه مايهدد إمتيازاتها . . ويشاركها فى حب الرئيس . . فتفعل المستحيل لتمنع تعيينه . . وإذا صمد الرئيس للمؤامرات حوله . . وعين الرجل الصالح الذى اختاره . . فقد تطارده « البطانة » بعد ذلك . . وتضع فى طريقه العراقيل والعقبات . . حتى يفر من وجهها نجاة بنفسه وإذا صمد فى وجهها رأى نفسه آخر الأمر غير قادر على أن يعمل شىء وقد يرى الرجل الصالح أن خير وسيلة لبقائه هى أن « يفسد » . . وأن يخضع لأوامر البطانة والحاشية ذات النفوس الوضيعة . . ثم يكتشف الرئيس . . أن الرجل الذى ظنه صالح ومناسب . . لاهو صالح . . ولامناسب . .

والصلاح كلمة مطاطة . . وغير متفق على معنى محدد لها . . فالرجل الصالح

أستاذ فى الجامعة . . قد لا يصلح للعمل السياسى . . والصالح فى رئاسة مؤسسة كبرى . . قد لا ينجح فى إدارة وزارة صغيرة !!

فكثيرين من قادة المعارك . . وعباقرة الحروب . . فشلوا فى إدارة الدولة والحديث طويل !!

دخلت القاعة التى كان يشغلها رئيس مجلس قيادة الثورة لأرى فيها مشهداً عجيبا أناس يدعون للوزارة . وعلى وجوههم من علائم الخوف والفزع مالم يحل وجه مصرى دعى للوزارة من قبل !!

فقد تصوروا أنهم مقبوض عليهم . إذ أن الدعوة التى وصلتهم لم تبين لهم . . « لماذا دعوا إلى مجلس قيادة الثورة المخيف » ؟ . وبعضهم علم أنه مرشح لتولى مناصب الحكم . . ولكنه أشفق من هذه الدعوة . . فالملك لم يكن قد غادر البلاد إلا منذ أقل من شهرين . . وأمور السياسة لا تستقر على حال . . وقد يعود الملك إلى مصر . فيعتبر من تولى الحكم . . استجابة لدعوة الثورة . متمرداً وخائنا . . وقد يساق إلى « المشنقة » بوصفه ثائراً وخارجا على الملكية . . ثم . . من يضمن أن الاعتذار عن دخول الوزارة لن يفسر بأنه رفض للتعاون مع الثورة وقد تستقر هذه الثورة أو يطول عمرها فيكون هذا الرفض مخاصمة لها تعرضه للمكاره والضيق !!

ولقد رأيت أحد المرشحين متجها إلى القاعة . ومن خلفه ضابط من الشرطة العسكرية . . (و . . المرشح المسكين) يتلفت حوله !! وكأنه يطلب الغوث والنجدة !! ولما رآنى . . وكان يعرفنى . . هتف باسمى واندفع نحوى . . ولولا الحياء لألقى بنفسه على صدرى !!

وشهدت فى هذه القاعة مشهداً طريفا حقا . . فقد كانت المداولات بين

الضباط من جهة . . وبين المدنيين المرشحين للوزارة من جهة أخرى . . تسفر عن الاتفاق على إسم من الأسماء . . فيتعين أن يتصل به (رئيس مجلس قيادة الثورة) تليفونيا . ويدعوه للاشتراك فى الوزارة . فكان يتلقى الاسم . . ثم يطلب له صاحب الاسم على التليفون فاذا هم بالكلام . . نسى الاسم !! ويطلب أن يذكر به فيذكر له وسط ضجيج القاعة فلا يسمعه جيداً . فينادى من طلبه فى التليفون باسم (مخلوط) ثم يصحح له . . فيصححه بدوره !!

وهكذا والرجل على الطرف الآخر من التليفون مندهش . . لا يدرى من الذى يعابثه على هذه الصورة . . وهو يحسب أن الأمر مزاح كله . . وهو فى واقع الأمر . . جد خالص !!

° ° °

كنت واقفا مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وهو يروى حيرته بين معسكرات الأخوان المسلمين ؟!

فالشبان منهم لهم مرشحان والشيوخ لهم مرشحان آخران . . فقلت له : حبذا لو أخذت الشيخ أحمد حسن الباقورى . .

وكان جمال متلهفا على حل . فسألنى وهو شارد الذهن . من ؟ . فأعدت عليه الاسم . . فعاد يسأل . . من ؟ . فلما أعدت عليه للمرة الثانية بدت عليه خيبة أمل . . فقلت له : ـ الحقيقة أنا بودى أن يكون من بين الوزراء أزهرى صاحب عمامة « فللأزهر وأصحاب العمائم فضل على نهضة مصر الحديثة فكان منهم الخطباء والشعراء . . والصحفيون والمفكرون . ولكننا درجنا على إهمالهم بلا مبرر . .

والباقوري أزهري مشتغل بالسياسة . . وقد جره هذا الاشتغال إلى « المعتقل » فقضى به وقتاً غير قصير .. وهو خطيب .. ومتحدث ومتطور . . وسيرى فيه الناس صورة جيدة للأزهري . .

فأجابني .. إن أردت الحقيقة . . أنا أفضل أن يكون ممثل الاخوان هو « حسن العشماوي » فهل تعرفه ؟ ؟

قلت له . . أعرفه جيداً . . فقد تردد على في مكتبي . . ووكلني في قضايا الاخوان .. وأعطاني في يدي هذه مئات الجنيهات وهو شاب ذكي . . وسيكون له بلا شك مستقبل سياسي .. ولا اعترض على ترشيحه للوزارة . . وأن كان لايزال صغير السن جداً فقال لى عبد الناصر على الفور . . إذن نأخذه ودعك من الباقوري . . فقلت له إفعل ماتشاء . . فأنتم أصحاب الأمر . . وأنا لا أقول ما أقول إلا على سبيل الاقتراح .

والعجيب اني سمعت عبد الناصر يقول لى . ولكني أريد أن توافق على دخول حسن العشماوي الوزارة ! !

فأدهشني منه أصراره على طلب موافقتي . . فقلت له موافق فسألني . . وسحبت ترشيحك للباقوري . . فزادت دهشتي . . وقلت له . . إن ترشيحي الباقوري أو لغيره هو مجرد اقتراح تأخذون به .. أو تدعونه كما يحلو لكم . ولست ارى تعارضا في أن نأخذهما معا . فقال في أسف بل لا بد من أخذ أحدهما فقط لأنني لا أستطيع أن آخذ من الإخوان المسلمين أكثر من اثنين .

ولا أستطيع أن آخذ من فريق الشباب أكثر من واحد وأريد أن يكون هذا الواحد هو « العشماوي » ولكنك مصمم على ترشيح الباقوري . قلت له . وماذا يقدم تصميمي أو يؤخر . فأنت الذي تختار الوزراء لا أنا ؟ !

فهز رأسه وقال : — ليكن ما تريد . . سنأخذ الباقورى ! !

* * *

وفى ذات ليلة عدت إلى بيتى . . وبينما أنا على السلم المؤدى إلى مكتبى فى المنزل سمعت جرس التليفون وغدوت نحوه ورفعت السماعة . . فإذا المتكلم جمال عبد الناصر . . وكنت آنذاك وزيراً للمواصلات . . فسألنى : — هل تعرف الدكتور مصطفى خليل ؟ فقلت له : — لقد مر على فى مكتبى بعد أن حددت له موعداً بناء على طلب الأخ زكريا محيى الدين الذى فهمت منه أنه صديقه وزميله فى نادى التجديف .. فضحك عبد الناصر وقال : -- أنا عارف إن صداقتهما صداقة رياضية . . واسترسلت فى كلامى بعد هذه المقاطعة : —

لقد جاء يعرض على فكرة إدخال نظام جديد اسمه (نظام التحكم المركزى) يغنى عن ازدواج الخطوط فى السكك الحديدية . . فقال عبد الناصر : — وما رأيك فيه على العموم ؟ فقلت له : — إن جلسة واحدة لا تكفى للحكم له أو عليه ! ! ولكن الأثر الذى تركه فى نفسى فى هذه الجلسة كان طيباً . . فقال عبد الناصر : — ما رأيك أن يمسك وزارة المواصلات . . وكان لفظ يمسك من تعبير الضباط ! ! يعنى أنه يتولى أمر وزارة أو منصب ما . . فقلت : — على خيرة الله . .

فقال : — إيه مش موافق ؟ ؟ فقلت : — أبداً كيف لا أوافق وأنا لم أجلس معه إلا عشر دقائق ! ! فعاد عبد الناصر يسأل وفى صوته شىء من التردد : — يعنى رأيك إيه على العموم ؟ ؟ فضحكت وقلت : — رأيى على العموم هو رأيى على الخصوص . . فى الحالين لا أستطيع أن أحكم عليه . . فقال : — يعني بلاش ؟ !

فاضطررت أمام هـذا الإلحاح أن أقول . . لا . . لا . . أبداً ليس هناك ما يدعو إلى العدول عن ترشيحه . . ولـكن إذا كنت تريد أن أقول شيئاً من ظاهر الأمور .. فان ما يحسب له . . أنه مهندس سكك حديدية وهو يدرس هـذه المادة فى كلية الهندسة فهو كمختص بالمرفق الذى سيشرف عليه ثم هو . . حسن العرض لفكرته . . ومظهره يحمل على الاحترام . . أما ما قد يعترض عليه به فهو أنه . . أولا . . صغير السن . . وصغر درجته الجامعية فهو مدرس . . ثم أن اقتراحه الخاص بالتحكم المركزى رفض بشدة من جميع مهندسى السكك الحديدية وقد يدفعه ذلك إلى إساءة معاملتهم كما قد يحمله صغر سنه إلى الرغبة فى إقالة الموظفين الكبار . . فى السكك الحديدية والتليفونات والمرفقان لا يحتملان أن يحدث فيهما عملية كهذه .. فقد أخرج منهما فى أول الثورة عدد من خيرة المهندسين لمثل هذا الاعتبار !!

فقال عبد الناصر :— خليه يدى لهم على رؤوسهم .. يستاهلوا !! وكان عبد الناصر دائم الشكوى من مرفق السكك الحديدية ومن كبار موظفيها ويتمنى أن يتخلص منهم أو يضع لهم من يتولى تأديبهم !!

وعندما اعتذرت فى أكتوبر ١٩٥٨ على أن أكون وزيراً للثقافة والإرشاد القومى . . فوجىء الدكتور « ثروت عكاشه » وكان سفيراً لمصر فى روما . . وهو يستمع إلى نشرة الأخبار بأنه اختير « وزيراً للثقافة » . . دون أن يفاتحه فى هذا الأمر أحد !!

* * *

جمال عبد الناصر الانسان

يقـول الدكتور عبد الوهاب البرلسى وزير التعليم العالى السابق : —

لم يكن قد مضى على عملى وزيراً للتعليم العالى أكثر من ثلاثة أسابيع عندما قام إضراب فى جامعة الاسكندرية . . بدأ فى كلية الهندسة . . ثم أدى سوء تصرف مدير الأمن بالاسكندرية إلى سرعة تفاقم هذه الحركة . . واعتصام طلاب كلية الهندسة وتضامن باقى طلاب الجامعة معهم ! !

واستمر اعتصام طلاب الهندسة أربعة أيام بلياليها كاملة قضيتها فى مكتبى وكنت على اتصال دائم بالاسكندرية بل أنى سافرت صباح اليوم الثانى إلى الاسكندرية فى قطار الصباح لتقييم الموقف بنفسى .. وعدت مساء نفس اليوم إلى الاجتماع الأسبوعى لمجلس الوزراء لأتقدم تقريراً عن الأحداث . .

ثم أبلغوا ذلك للرئيس عبد الناصر بطريق غير مباشر هـذه المرة . . وفوجئت صباح اليوم التالى بالرئيس يطلبنى تليفونياً ويسألنى : — لماذا لم أتصل به مباشرة ما دمت على خلاف مع اللجنة ؟ !

وأجبت : — أنى كنت سأفمل فور انتهاء اللجنة من أعمالها . . إذ ربما استطعت إقناع هؤلاء الأعضاء بوجهة نظرى .. فقال : — إن ذلك ربما يكون متأخراً ! !

وطلب إلى أن أقابله فى مكتبه ظهر اليوم التالى . . وفى مقابلة استمرت ساعتين فى منزله فى منشية البكرى حيث كان يعمل معظم الوقت . . استمع إلى رأيى فى أسلوب التعامل مع الشباب أولا . . ومع الجامعات ثانياً . . وأن ما يشعر به الطلاب يشعر به كل مواطن بعد هزيمة يوليو ١٩٦٧ كما ذكر الرئيس نفسه . . إلا أن رد الفعل لدى الشباب بطبيعته أكثر حدة .. وأكثر اندفاع من جيلنا الذى سبقهم ! !

واستمع عبد الناصر . . وكان من مزاياه حسن الاستماع . .

* * *

« من يعارض عبد الناصر ؟! »

علمتنى هذه الحادثة وكانت فى أول عهدى بالوزارة أن يكون اتصالى مباشرة بعبد الناصر كرئيس للوزارة ! !

وقد ذكر هو ذلك مراراً فى اجتماعات مجلس الوزراء . . كان يقول للوزراء : — أرجو الاتصال المباشر بى فى أى وقت لأى أمر هام ! !

وكان البعض يفعل ذلك وكنت منهم ! !

وكان البعض يتحرج وينتظر الاجتماع الأسبوعى للمجلس الذى كان يعقد مساء يوم الأحد من كل أسبوع . . إلا أنه خلال العامين اللذين قضيتهما فى

الوزارة مع عبد الناصر كان الاتصال المباشر مفيداً ومثمراً ومنجزاً لكثير من الأعمال ولم يكن عبد الناصر طاغية كما يظن بعض الناس . . كان دمث الأخلاق مهذباً حازماً واضحاً صريحاً يتفهم ما يعرض عليه ثم يصدر قراره فيه !!

وكان إذا روجع فى قراره يفكر مرة ثانية . . ويقنعك بوجهة نظره أو يتخلى عنها . . إلا أن البعض — سامحهم الله — كان يفضل الموافقة على المناقشة . . وكانت له لفتات تنم عن تقديره لشعور الإنسان !!

فقد حدث عقب جلسة طويلة لمجلس الوزراء عرضت فيها دراستى عن تطوير كبير فى سياسة التعليم . . يتضمن إنشاء الجامعات الإقليمية وكانت حدثاً جديداً فى مصر بعد تجربتى فى جامعة أسيوط !!

حدث أن خرج وكيل الإعلام لإعطاء ملخص لما دار فى المجلس لممثلى الصحافة . . وكانت سياسة التعليم العالى الجديدة من أهم ما أقره المجلس فى ذلك المساء . .

ولكن عند خروج عبد الناصر من قاعة المجلس . . قال لوزير الإعلام : —

أذكر للصحافة ملخصاً لكل ما جرى فيها عدا موضوع التعليم العالى !!

ثم التفت إلى قائلاً : — أنا أفضل أن تعقد مؤتمراً صحفياً وتعلن فيه السياسة الجديدة التى أقرها المجلس !!

كان محدثاً لبقاً ويبدو دائماً . . لبقاً . . مهذباً . . مجاملاً . .

* * *

« اللقاء الأخير »

كان موعدى مع الرئيس الراحل ظهر يوم الأربعاء ٩ سبتمبر ١٩٧٠ . . وكنت قد تعودت طلب مثل هذا الاجتماع كلما تراكم لدى عدد من الموضوعات الهامة التى تمس سياسة التعليم العالى لمناقشتها ودراستها . . وطلب عرضها على مجلس الوزراء إذا لزم الأمر . . وكان اجتماع سبتمبر هاماً بالنسبة لعملى فهو يسبق بدء العام الدراسى بالجامعات والمعاهد العالية .

اتصل بمكتبى الرئيس قبل الاجتماع . . وأبلغنى تأجيل الموعد إلى ظهر الخميس — أى فى اليوم التالى — وأحب أن أذكر هذه التفاصيل . . لأن الاجتماع كان الأخير قبل وفاة عبد الناصر وقبل تفجير الأزمة بين الملك حسين والفدائيين التى أعتقد أنها كانت السبب المباشر فى الأزمة القلبية التى أنهت حياة الرئيس نتيجة الإجهاد والإرهاق والإنفعال !!

وصلت إلى منزل الرئيس بمنشية البكرى فى الساعة الواحدة ظهراً وكان المنزل خالياً إلا من الرئيس . . وكان الجو فى المنزل حاراً . .

ودخل الرئيس بملابسه البسيطة — القميص والبنطلون — ولاحظت حبات العرق على جبينه فتحركت حاستى الطبية . . وسألت عن صحته ؟ ؟ وعن سبب إيقاف أجهزة التكييف والجو اليوم حار ؟ . . فقال :—

أنا اللى قلتلهم يقفلوا التكييف لأن عندى برد وزورى واجعنى !!

فسألت الرئيس :— هل استدعيت الدكتور على المفتى وكان طبيبه الخاص فى مثل هذه المسائل فقال :— لأ أخذت حقنة ريفرين وبكره أبقى عال !!

فأبديت دهشتى وقلت :— ريفرين علشان شوية التهاب فى الزور . . دا دواء قوى جداً لا نلجأ إليه إلا فى الحالات الشديدة . . يا ترى مين اللى وصفه ؟ ؟

فرد قائلا : — مفيش حـد . . أنا اللى قلت كده علشان أخف بسرعة أصلى أنا وحـدى فى البيت وكنت عاوز أسافر اسكندرية اليـوم . . ويمكن أخذ أسبوعين أجازة لأنى ما خدتش أجازة أبداً السنة دى . . والأولاد فى اسكندرية . . ولى مدة ما شفتش عبد الحميد اللى فى « البحرية » — نجل الرئيس — المرة الماضية . . رحت اسكندرية . . وكان المفروض عبد الحميد يخرج يوم الخميس قبـل هودتى للقاهرة . . ولـكنه اتأخر . . وسافرت من اسكندرية من غير ما اشوفه !! وهـذا هو السبب إن ميعادك كان الأربعاء علشان أسافر النهارده . . لـكن ح أجل السفر شوية لما زورى يرتاح !!

ولـكن الرئيس لم يأخذ هذه الأجازة . . فبعد سفره إلى مرسى مطروح مباشرة . . تفجرت أزمـة المقـاومة الفلسطينية مع الملك حسين وعاد إلى القاهرة !!

وباقى القصة إلى وفاته معروفة للجميع . .

وخلال هـذا اللقـاء اختصرت فيما أردت أن أعرضه إشفاقاً عليه . . ولـكنه كان صبوراً كالعادة . . حتى أنى عرضت عليه مشروعاً يدر على الجامعات دخلا إضافياً لمقابلة بعض المصروفات الاستثمارية تتلخص فى هدم وبيع المبانى القديمة . . فى كل جامعة . . واستغلال عوائدها فى إنشاء الأقسام الجديدة المطلوبة . . فوافق على الفـكرة . . وطلب منى إعداد مشروع القرار الجمهورى اللازم .. فأخبرته أنه معد وسوف أرسله إلى مكتبه فى الصباح الباكر

فسألنى :— هو المشروع جاهز معاك ؟ ؟

فلما أجبت بالإيجاب . . قال :—

يا شيخ هات القلم نمضيه . . حد عاوف بكره فيه إيه ؟ ؟

ووقع المشروع . . وفعلا لم نـكن نعلم . . بكره فيه إيه ؟ ؟ !!

جمال عبد الناصر.. كما عرفته؟!

من مذكرات أول أمين للجامعة العربية

ومن حديث صحفي للأستاذ جميل عارف المحرر بمجلة « آخر ساعة » مع المرحوم « عبد الرحمن عزام باشا » الذى يتحدث فيه عن ذكرياته عن « جمال عبد الناصر » وعن الصدام الذى حدث بينه وبين أحد ضباط الثورة . . « صلاح سالم » . . وكيف اعتذر له وصالحه الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر »

لم يكن يهمني إلا أن أعمل على توحيد كلمة العرب حول شيء واحد . . هو الجامعة العربية التي ولدت على يدى ، وكنت أول أمين عام لها عند نشأتها . .

وحاول نورى السعيد أكثر من مرة أن يحرجنى ، وأن يدفعني إلى الاستقالة ، ولكننى لم أكن أهتم بمناوراته كثيراً ! !

وحدث عندما تأزم الموقف فى فلسطين على أثر إعلان الهدنة الأولى

أثناء حرب عام ١٩٤٨ أن حاول نورى السعيد أن يلقى بتبعة تطورات الموقف على الأمانة العامة وكنت أعرف تفاصيل ما حدث عند ما أمر جلوب باشا قواته بالانسحاب من اللد والرملة وتسليمهما إلى الإسرائيليين !!

وفى اجتماع اللجنة السياسية الذى هاجمنى فيه نورى السعيد بعنف لم أتمالك نفسى من الغضب فاتهمته بالتآمر على قضية فلسطين وتنفيذ مخططات الانجليز والصهيونية العالمية !!

وحاول نورى السعيد أن يدافع عن نفسه . . ولكننى صرخت فى وجهه وأنا أقول له :—

أسكت يا نورى . . وإلا خرجت من هنا لأعلن أمام الجماهير العربية حقيقة مؤامرتك على شعب فلسطين !!

وسكت نورى السعيد ولم يتكلم !!

ومرت الأيام لينتقم نورى السعيد لنفسه بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ !!

لقد بعث إلى القاهرة يقول :— إن عبد الرحمن عزام يقف حجر عثرة فى سبيل التفاهم بين القاهرة وبغداد !!

وأرسلت القاهرة إلى نورى السعيد تسأله عما يعنى !!

وجاء الرد من بغداد :—

إخرجوا عبد الرحمن عزام من الجامعة العربية !!

وللأسف الشديد تصور بعض أعضاء مجلس الثورة فى القاهرة أننى أقف عثرة فى سبيل التفاهم بين القاهرة وبغداد !!

وكنت قد عرفت بتفاصيل رسالة نورى السعيد من الصديق أحمد أبو الفتح عندما كان رئيساً لتحرير جريدة المصرى . .

أرسل إلى ابن شقيقته أحمد فهمى ومعه زميله الصحفى على جمال الدين ليقترحا على الاستقالة من منصبي كأمين للجامعة العربية !! وكانت رسالة الصديق أحمد أبو الفتح كما نقلت إلى حرفياً . . أن أعضاء مجلس قيادة الثورة مجموعة من الضباط الشبان ممن لا يعرفون جهادك الطويل من أجل تحقيق الوحدة العربية ، ونصيحتى لك أن تبادر بالاستقالة من منصب الأمين العام للجامعة العربية خشية أن يسىء أحدهم التصرف معك !!

كانت نصيحة مخلصة من صديق أحترمه . . وكنت أعرف صلته الوطيدة فى تلك الأيام بغالبية أعضاء مجلس قيادة الثورة . . ولم يكن فى وسعي إلا أن أفكر فى هذه الرسالة ملياً !!

وفى مساء نفس اليوم . . اتصل بى السيد رشاد مهنا . . وكان عضواً فى مجلس قيادة الثورة ليقول لى :— إن مجلس الثورة ظل لمدة ست ساعات كاملة يناقش علاقات مصر مع مختلف الدول العربية . . وأنه يرى ضرورة استقالتى من منصبى كأمين للجامعة العربية !!

ولم أتمالك نفسى من الدهشة عندما سمعت رسالة رشاد مهنا ولذلك بادرت أقول :—

ولكننى لست موظفاً عند مصر حتى يطلب إلى مجلس قيادة الثورة باسم مصر الاستقالة .. وعليك أن تعرف أن مجلس الجامعة العربية قد اختارنى أميناً عاماً بالإجماع وأننى فى هذا المنصب أعمل لحساب كل الدول العربية الأعضاء فى الجامعة !!

وكان رده :—

ولكنك مصرى أولا . . وأنا مكلف بإبلاغك قرار مجلس الثورة !!

فقلت :— إذا ما قررت الاستقالة ، فانني سأبعث بها إلى مجلس الجامعة !!

وفى مساء نفس اليوم اتصل بى السيد صلاح سالم وكان هو الآخر عضواً فى مجلس قيادة الثورة وطلب زيارتى فى منزلى بالعجوزة . . قال لى :— أنه يحمل إلى رسالة هامة من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة !!

قلت له وأنا أرحب به :— أنا أعرف الرسالة . . وجاء الرجل فى نفس الليلة ليطلب إلى هو الآخر الاستقالة من منصبى كأمين للجامعة العربية !!

كان يتكلم بعصبية وهو ينقل إلى نفس رسالة زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة . . قال نفس الكلام الذى سمعته فى التليفون من رشاد مهنا !!

ولم تعجبنى الطريقة التى كان ينقل إلى بها رسالة زملائه . . كان يتعمد أن يظهر أمامى وكأنه يصدر إلى أمراً بالاستقالة ، وأنه على أن أبادر بتنفيذ تعليماته فوراً !!

وتمالكت نفسى وأنا أقول له :—

سأفكر فى الموضوع !! وقفز صلاح سالم من مكانه وهو يصيح :—

إحنا قلنا تستقيل . . يعنى تستقيل !! وابتسمت . . ثم أخذت أهدىء من روعه . . وأنا أرحب به ضيفاً فى بيتى !!

وكانت مسرحية سخيفة . . عندما أخرج الرجل مسدسه من جيبه . . ثم وضعه فوق الطاولة التى كانت أمامه !! وابتسمت وأنا أقول له :—

إبعد هـذا المسدس . . إنه لن يرهبنى . . ويجب أن تعرف أننى فى منصب الأمين العام للجامعة العربية . . لست موظفاً عند مصر وحدها . . ولـكننى أعمل لحساب جميع الدول العربية الأعضاء فى الجامعة العربية . . وفى حالة موافقتى على الاستقالة فانى سأتقدم بها إلى مجلس الجامعة العربية ! !

ولم يعجب كلامى صلاح سالم . . فأخـذ يلوح بعصبية . . ثم التفت ناحيتى وهو يقول بنفس العجرفة والعنجهية :—

لن أغادر هذا المـكان حتى تـكتب استقالتك ! ! قلت له : — أنت زى ابنى . . وأنت هنا فى بيتك على الرحب والسعة ! ! وأدرك صلاح سالم أن تهديدى بالمسدس لن يفيد . . فأخذ القلق يراوده وتزايد قلقه عندما قلت له : —

هل تظن أن رجلاً رأى الموت بعينيه عدة مرات عندما خرج مجاهداً فى سبيل عروبته وبلده يمكن أن يخاف من مثل هذا المسدس ! ! وابتسم صلاح سالم لأول مرة وهو يقول لى : —

يا باشا . . إننا نعرف تاريخك الوطنى الطويل . . ولـكنه قرار مجلس قيادة الثورة ! !

قلت له : —

إطمئن .. سأحقق لك غرضك .. ولـكن على طريقتى وبأسلوبى الخاص ! !

وهنا فقط هدأت أعصابه ثم استأذن فى أن يتكلم فى التليفون ؟ ؟

وانتهت المسرحية السخيفة مع هذا الحديث التليفونى ! !

لقد تـكلم مع أحدهم لمـدة دقائق ثم عاد ليستأذننى فى الانصراف ! !

وانتظرت حتى غادر صلاح سالم بيتى . . ثم بادرت بانتزاع ورقة بيضاء من كراسة أحد أولادى . . وكانت على طاولة إلى جوارى فى حجرة الصالون ثم كتبت عليها استقالتى التى كانت من عدة كلمات .. وكانت موجهة إلى مجلس الجامعة العربية . . وليس إلى مجلس قيادة الثورة !!

وأذكر أننى قمت بالاتصال بالصديق أحمد أبو الفتح وطلبت إليه أن يبعث إلى بمن يتسلم استقالتى . . وجاءنى أحمد فهمى وعلى جمال الدين مرة أخرى لأمد إليهما يدى بالاستقالة وأنا أقول لهما :—

هذه هى الاستقالة حتى ترتاح أعصابهم . . ونصيحتى أن ترسلوها عن طريق وزارة الخارجية المصرية إلى مجلس الجامعة العربية للموافقة عليها حتى تصبح الاستقالة قانونية !!

وفى صباح اليوم التالى اتصل بى صلاح سالم فى التليفون بعد أن وصلت استقالتى إلى مجلس قيادة الثورة ليقول لى :— ما تزعلش يا باشا .. ده كان إجراء ضرورى !!

° ° °

ومرت عدة أشهر قبل أن تنكشف المناورة التى لعبها نورى السعيد للتخلص منى !!

وكنت قد اعتكفت بعد استقالتى فى الشقة التى أعيش فيها وتطل على النيل بالمجوزة . . كنت أريد أن أقضى فترة استجمام بعيداً عن المشاكل السياسية العربية !!

وعرضت عليّ المملكة العربية السعودية فى تلك الأيام أن أعمل وسيطاً فى النزاع حول واحة البوريمى . . ولكن فجأة . . أدركت مصر الخطأ الذى وقعت فيه عندما طلبت إلى الاستقالة من منصب الأمين العام للجامعة العربية وكان أن قرر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر زيارتى فى بيتى . . ومهد محمد حسنين هيكل بنفسه لهذه الزيارة .. اتصل بى بواسطة أحد الزملاء الصحفيين ليعرض على رغبته فى زيارتى !!

وفى بادىء الأمر لم أكن مرحباً بهذه الزيارة .. فقد كتب هيكل يهاجمنى فى الكثير من مقالاته . . وكان هو الذى أطلق على إسم . . أبو الكلام عزام !!

ولكننى عدت فوافقت على زيارته لى . . وكانت مفاجأة . . عندما لم يحضر هيكل وحده !!

لقد جاء بصحبة الرئيس السابق جمال عبد الناصر وزكريا محي الدين !! وأذكر أن الساعة كانت العاشرة مساء فى أحد الأيام فى أواخر سنة ١٩٥٤ ولا أخفى أن هذه الزيارة قد أثارت ارتباكى كثيراً . . وخاصة عندما شاهدت الرئيس جمال عبد الناصر . . وهو يدخل إلى بيتى بقامته الفارهة الطول !! ولكن سرعان ما تمالكت نفسى . . فأخذت أرحب بضيوفى !!

وجلس جمال عبد الناصر على أحد مقاعد الصالون فى بيتى وهو يقول: — كنا مارين من هنا وقلنا نطلع نتعشى معاك !! وأسرعت إلى أهل بيتى أسألهم عما إذا كان عندهم عشاء للضيوف .. فلما لاحظت الارتباك فى عيونهم طلبت من ابني عمر تدبر ما يحتاج إليه العشاء من عند الحاتى !!

وتناول الضيوف العشاء معى . . ثم استمرت السهرة حتى الساعة الرابعة صباحاً . . وكان الحديث طويلا . . كما كانت هناك مناقشات استطعت من خلالها أن أدرك ما كان يهدف إليه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر !!

كانت زيارته للاستشارة . . وكما قال لى بنفسه بالحرف الواحد :—

إحنا ضباط . . ولما قمنا بالثورة كانت خبرتنا بالشئون العربية محدودة

وفى نفس الليلة ظللت أتكلم على مدى أكثر من ست ساعات كاملة !!

وكان الرئيس جمال عبد الناصر يسألنى عن الكثير من التفاصيل .. كان يريد أن يعرف كل شيء عن خفايا السياسة العربية . . وكنت واضحاً وصريحاً فى آرائى . . ولا أظننى قد بخلت على ضيوفى بأى نصيحة . . وعندما تأهب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر للانصراف ، التفت هيكل ناحيتى وهو يقول :— أرجو يا باشا أن تقبل اعتذارى إن كنت قد تحاملت عليك فيما كتبته عنك . . وابتسمت ولم أقل شيئاً !!

وتكررت بعد ذلك زيارات الرئيس جمال عبد الناصر لى فى بيتى . . وفى كل مرة كان يقضى معى الساعات وهو يسأل . . وأنا أتكلم . . وأذكر أنه قاطعنى مرة ليقول لى :— أنا عاوزك تعود إلى عملك فى الجامعة العربية !!

قلت له :— آسف . . لا أستطيع الآن !!

فقال عبد الناصر :— بكره تروح مكتبك فى الجامعة . . ومصر ستقوم بكل الاتصالات لإعادة انتخابك أميناً للجامعة !!

قلت له :— أفضل أن أبقى بعيداً عن الجامعة .. والبركة فيكم .. وسأبقى دائماً على استعداد لتقديم أى مشورة إليكم !!

***

جمال عبد الناصر
.. "ومراكز القوى"!!

في كتب التاريخ .. قديماً وحديثاً .. قرأنا الكثير عن هؤلاء الذين يظهرون بجانب الحاكم كالأشباح . يثيرون الخوف والفزع والرعب في قلوب الناس .. ويسمونهم « مراكز القوى » !!

وفي كل عصر من عصور التاريخ يظهر هؤلاء « الأشباح » وهم طائفة من الانتهازيين المتسلقين على الأكتاف .. استطاعوا أن يتسلقوا على أكتاف الحاكم « كالبهلوانات » !!

وكما نشهد للبهلوان بالبراعة في فنه .. كذلك حق علينا أن نشهد لهؤلاء بالبراعة في تسلق أكتاف الحاكم .. وقضاء أغراضهم ومآربهم ونزواتهم من هذا التسلق .. وخاصة إذا كان الحاكم من طراز « جمال عبد الناصر » الذي وصفه صديق عمره « الرئيس محمد أنور السادات » وقال في وصفه :— أنه كان صاحب أعصاب مشدودة متوترة على الدوام .. وكان من الصعب التقرب إليه !! ولكن هؤلاء البهلوانات استطاعوا ذلك !!

ولقد رأينا العجب العجاب من نفوذ مراكز القوى في عهد الملك السابق « فاروق » وكيف استطاع خادم إيطالي .. من السيطرة عليه .. وخضوع فاروق لآرائه وتوجيهاته الخاطئة حتى أصبح الخادم الإيطالي أشهر من نار على علم !!

وقد يجهل الناس أسماء الوزراء .. ولا يجهلون إسمه .. لشهرته التي عمت الآفاق في الشرق والغرب !!

وكيف استطاع أيضاً خادم نوبى أن يتفوق فى نفوذه وسلطانه على أصحاب المعالى والسادة من الأعيان وكبار الموظفين .. تنحنى له الرؤوس احتراما وإجلالا .. رؤوس البكوات والباشوات !!

ولقد أراد يوماً أن يعين صديقاً له .. وكان محامياً مغموراً فى منصب خطير كبير .. فتم له ما أراد .. وصدر « المرسوم الملكى » بتعيين هذا المحامى المغمور « محافظاً للقاهرة » !!

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة !!

وفى الصفحات التالية عن عبد الناصر « ومراكز القوى » نجد أن هؤلاء الذين نسميهم بمراكز القوى .. ما هم إلا شخصيات تافهة كل كفاءاتهم ومواهبهم هى .. المكر والخداع والمداهنة والنفاق والرياء !!

وبهذه المواهب والمقدرة استطاعوا أن يتسلقوا على أكتاف عبد الناصر وأن يخدعوه .. وأن يضللوه !! وأن ينشروا الرعب والفزع فى قلوب المواطنين الآمنين !!

وأخيراً .. هل كان عبد الناصر يعلم بما ارتكبه هؤلاء من جرائم واعتقالات وتعذيب وإساءة فى حق الوطن .. بل وإساءة فى حقه ؟؟ وقد كان ينسب ما اقترفوه من المساوىء والإجرام والظلم والاستبداد إلى جمال عبد الناصر !!

هل كان عبد الناصر يعلم أو لا يعلم ؟؟

ستقرأ الرد على هذا السؤال فى الصفحات التالية ويمكن الرد أيضاً على هذا السؤال بقول الشاعر الحكيم :—

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة ... أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم !!

** ** **

مصطفى أمين
وسنة أولى سجن !!

يقول مصطفى أمين فى كتابه « سنة أولى سجن » : — أنه تعرض لعملية تعذيب وحشية على أيدى الجلادين فى المخابرات العامة من أعوان صلاح نصر . . وعلى يدى الجلاد حمزه البسيونى فى السجن الحربى . . وأن التهمه ملفقة له . . وأنه اضطر تحت التعذيب أن يعترف بأشياء منسوبة إليه ظلما وزوراً ليستريح من التعذيب والإرهاب !!

وهنا علينا أن نشعر بالأسى والأسف لما ناله من تعذيب لأن انتهاك إنسانية الفرد وإذلاله بواسطة حفنة من الوحوش الآدمية مسألة تستوجب الاستنكار فالإرهاب الفردى والتعذيب الجسدى أمراً لا يمكن إقرارها ولا الدفاع عنهما . . ويجب ملاحقة كل الذين شاركوا فى عمليات التعذيب . . وإنزال العقاب بهم ليكونوا عظة لغيرهم !! وحتى يسود المجتمع روح تستنكر نهائياً الانتهاك الفظيع لآدمية أى إنسان . . وحتى تكون رادعاً أمام أى وحش آدمى لتمنعه

من إطاعة أوامر التعذيب ضد أى إنسان حتى لا يتعرض بعد فترة إلى العقاب .. وليعلم أن إطاعة الأوامر لا تشمل تعذيب البشر وقتلهم ودفنهم سراً !!

ملاحقة الوحوش وإنصاف المظلومين !!

نعم .. إبتداء بالإخوان المسلمين .. وانتهاء بالشيوعيين .. ومروراً بكل من تعرض للظلم أو التعذيب مهما كان لونه السياسى وعقيدته فلا مصلحة لأحد فى الدفاع عن الإرهاب .. فكلنا يدرك أى نوعيات من البشر وأى مستوى منحط سياسياً وفكرياً وخلقياً كان يمارس عمليات التحقيق والتعذيب .. وكلنا على اختلاف ميولنا السياسية يعلم أن حبس أى إنسان دون إذن ودون تهمة .. كان أمراً عادياً .. وكلنا نعلم أن أجهزة الأمن ربيت على العداء للديمقراطية ولحق الإنسان فى أن يكون له رأى مستقل أو مخالف للسلطة والنظام !!

هل نحن فى حاجة إلى أن نستعيد ما حدث ؟! لا أعتقد لأننا نعلم أن عدداً من الذين كانوا يتقلدون المناصب الكبرى كانت لديهم الاستمتاع بعمليات التعذيب .. وذكريات أفاعيل شمس بدران الفتى المدلل .. لا زالت عالقة فى أذهان الكثيرين .. والهالة الأسطورية التى أحاط صلاح نصر نفسه بها التى تثير الرعب والفزع فى القلوب ماثلة لنا جميعاً !!

ولقد بلغت جرأتهم ووحشيتهم حداً جنونياً .. حينما حاولوا العودة للسلطة من جديد بعد كل ما جروه على البلاد .. فأى نوعيات من البشر تلك ؟!

ألم يتهم عبد الناصر نفسه صلاح نصر والمخابرات العامة بأنهم أقاموا دولة داخل الدولة ؟؟ وأطلق عبارته الشهيرة : — «سقطت دولة المخابرات» !!

الرسالة التى أرسلها الأستاذ مصطفى أمين من السجن إلى « عبد الناصر » بتاريخ ٦ ديسمبر ١٩٦٥

يقول فى رسالته :—

سيادة الرئيس جمال عبد الناصر . .

لم أفتح فمى . . ولن أفتحه أبداً حتى لو وقفت على حبل المشنقة . . أننى مؤمن بأنه إذا عرف الرأى العام العالمى جرائم التعذيب التى تعرضت لها . . فسوف أسىء إلى صورة بلادى . . وتخدم أعدائنا . . هذه الصورة التى بذلت شبابى ودمى وأعصابى وحياتى من أجل أن تبدو أمام العالم فى صورة الأمة المتحضرة المجيدة . . فلا أريد أن يكون السيف الذى كان فى يد بلادى خنجراً يغمد فى ظهرها . . ولكننى لا أكتب لكم دفاعا عن نفسى وإنما أكتب إليكم دفاعا عن بلادى .

فقد تبينت فى الشهور التى أمضيتها فى المخابرات أن هذا الجهاز فى وضعه الحالى لا يخدم هذا البلد ولا يخدم هذا الحكم . . وإنما هو عصابة تضللكم وتكذب عليكم وتخدعكم وتزيف الحقائق وتلفق الأكاذيب وتخلق من الوهم قضايا !! وأن عمل الجهاز الأساسى هو حماية أصحاب السلطان والبطش بكل شخص يتوهمون . . أو يخشون منه أن يكشف لكم حقيقتهم . . ويظهر أمامكم جرائمهم !!

ولقد كنت قريبا منكم طوال ثلاثة عشرة سنة . . وأعرف عن يقين أنكم تجهلون هذه الجرائم ولا تتصورون أن أفراد هذه العصابة قد غرقوا فى

الشهوات والفساد واستباحة الحرمات والاستهانة بكل مبادىء الشرف والاستهتار بقواعد القانون !!

وانني أعرف أن فضحي هذه الحقيقة قد يكلفني حياتي ولكنني أفضل أن يموت بريء واحد على أن يتعرض ألوف الأبرياء لما تعرضت له من تعذيب وتلفيق .. بل أنني أعتقد أن هذه العصابة سوف تعرض هذا البلد إلى كارثة كبرى .. فان هذا الجهاز لا يحمى أسرار الدولة وانما هو يلفق أكاذيب للمواطنين !! .. وهو لا يحمي البلد وانما يحمى بعض أصحاب النفوذ والسلطان !! فهذه عصابة توضع على عين الشعب حتى لا يرى الجرائم التى يرتكبها هؤلاء المجرمون من أصدقاء صلاح نصر ومحاسيبه ومؤيديه !! وقد يستطيع كل فرد فى هذه العصابة ببطشه وسلطانه أن يسكت كل فم يتحدث عن جرائمه ويقطع كل يد تشير إلى مفاسده ويحطم كل رأس يرتفع أمامه ويفقأ كل عين ترى استهتاره وتهتكه !! .. ولكنه لن يستطيع إلى الأبد أن يمنع الحقيقة أن تطل برأسها وأن تصل إليك وأن تفضح هذه العصابة ولكني أخشى أن تصل الحقيقة كلها بعد فوات الوقت ؟!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

مصطفى أمين

* * *

حكايات عن.. مراكز القوى!!

ويقول الأستاذ جلال الدين الحمامصي متحدثا عن « مراكز القوى » .. وعن بعض أعمالهم وتصرفاتهم الخاطئة !!

مثلا :—

قصة أستاذ جامعي كبير بكلية الحقوق واسمه .. الدكتور عبد المنعم الشرقاوي .. رجل قانون وعلم .. من عائلة اختلفت مع النظام ففصل من الجامعة .. ثم هاجر إلى الكويت.

وأرادت قوى الشر أن تدخله في مؤامرة .. أو أن يشهد على آخرين لفقت ضدهم تهمة الاشتراك في انقلاب وهمي !!

وقبض على الدكتور الشرقاوي .. وهو في زيارة لأسرته بالقاهرة وبدأت عملية الإغراء للإعتراف على الآخرين .. ولم يكن الرجل يعرف واحداً من هؤلاء !!

وجربت كل وسيلة من وسائل التعذيب .. فلم تفلح .. ولم يبق أمام الزبانية إلا أن يخطوا الخطوة الأخيرة !!

أن يهددوه بالإعتداء على أقرب الناس إليه .. ولم يكن التهديد كلاما يقال .. بل كادت الجريمة أن ترتكب أمام عينه !! .. ولم يحتمل الرجل .. فصرخ صرخة مدوية .. أعلن فيها أنه على استعداد لأن يوقع لهم على بياض !!

(إحنا بتوع الأتوبيس)

قصة أخرى . . مضحكة ومبكية فى نفس الوقت :—

قامت مشادة بين كسارى أتوبيس . . واثنين من المواطنين حول قيمة التذكرة . . فصحبهم إلى قسم الشرطة .. ومن سوء حظ الراكبين أن السلطات كانت تجرى عملية قبض واعتقال لأعضاء هيئة دينية فى ذلك الوقت وازداد حظهما سوءاً عندما صدرت التعليمات بترحيل الجماعة . . فإذا بهما يساقان مع الجماعة ! !

وانهالت الضربات عليهما لأنهما يصران على أنهما ليس من الجماعة الدينية وأنهما « بتوع الأتوبيس » ! !

وبقيا فى المعتقل سنوات وسنوات . . حتى تم الإفراج عن أعضاء الجماعة الدينية . . واستغرقت عملية الإفراج فترة طويلة إلى أن « صفصف » المعتقل على الاثنين . . بطلى قصتنا ! !

ولم يجد قائد المعتقل إلا أن يأخذهما معه ويذهب إلى القاهرة ! !

وأمام الضابط المختص سألهما :—

إيه حكايتكم ؟ ؟ . . مين انتم ؟ ؟ . .

ونظر أحدهما إلى الآخر وتشجع وقال :—

ما قلنا لكم ده احنا بتوع الأتوبيس ! !

وقص على الضابط القصة ! !

وعاد الرجلان إلى منزلهما بعد سنوات طويلة من الغياب ! !

ولكنهما فى هذه المرة لم يركبا الأتوبيس ! !

القضاء فى .. عهد مراكز القوى !!

وعن القضاء فى عهد مراكز القوى يقول الأستاذ أنيس منصور :—

سمعت هذه القصة فى مناسبات مختلفة .. ولكن المعنى المؤلم لها واحد لم يتغير ..

يقال أن « قاضياً » فى محكمة .. دخلت له ورقة من محافظ الإقليم يطلب فيها أن يتولى بالرحمة أحد المتهمين .. وقد حدث ذلك كثيراً فى ذلك الوقت .. فلم يكن القاضى والقضاء مستقلا مقدساً فى استقلاله .. فما كان من القاضى إلا أن ألقى بالورقة فى سلة الزبالة .. وطوى أوراقه .. ورفع الجلسة .. وأشار إلى المحامى والمتهم والحاضرين أن يخرجوا !!

ورن الجرس .. وجاء الساعى .. وطلب إليه القاضى أن يأتى له بفنجان قهوة .. وأصر القاضى على أن تكون القهوة « سادة » .. ولما نبهه الساعى إلى أنه يشربها بسكر زيادة .. قال له القاضى :—

صحيح .. ولكن اليوم وغداً وبعد غد يجب أن تكون سادة !!

وقال له الساعى :—

كفى الله الشر !! .. هل هناك شىء لا سمح الله .. مات أحد ؟ ؟ ..

ولكن القاضى أصر على القهوة السادة !!

وجاءه الساعي بالقهوة السادة . . وسأله القاضي :—

هل تسمع أغاني أم كلثوم ؟ ؟ . .

قال :— طبعاً . .

هل تذكر الأغنية التي تقول فيها . . ما أحلى الوصال ؟ . .

— طبعاً

قل معي قل :—

النرجس مال   على الفرع وقال

ما أحلى الوصال   يا بلد بامية ! !

ويقال أن هذا القاضي لم يعقد جلسة بعد ذلك . . لقد اختفى تماماً !! لأن الساعي قد أبلغ عنه !! وظلت الأسرة تبحث عن عميدها وفقيدها سنوات طويلة !!

قالوا :— قتلوه !!   قالوا :— سجنوه !!

ولكنهم ما قتلوه وما سجنوه . . ولكن أدخلوه مستشفى الأمراض العقلية !!

وذهب أحد أبناء القاضي الفقيد إلى المستشفى . . وطلب أن يرى الذين دخلوها ولم يخرجوا منها وراح يتفحص وجوههم واحداً واحداً ولكنه لم يجد والده بينهم . . وذهب إلى مستشفى آخر . . وتصفح الوجوه وتسمرت عيناه على الملامح التي تشبه ملامح أبيه . . حتى اهتدى إليه !!

وليته ما عرف الحقيقة !! . . لقد تغير الرجل تماماً . . كأنما أحالوه إلى شيطان أو أدخلوه فرناً « سحرياً » فأعيد « عجن » الرجل و « تجفيفه » إلى أن أصبح وجهه وجسمه كالرغيف المكرمش المحروق . . هذا إذن أبوه . . أو هذا الذي كان ؟ !

النائب العام

وعلى ذكر « القضاء فى عهد مراكز القوى » .. نذكر هذه القصة الطريفة وقد رواها الأستاذ ابراهيم طلعت المحامى بالاسكندرية .. وقد كان من أصدقاء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يقول :—

فى يوم لا أذكره فى أوائل شهر أغسطس ١٩٥٢ .. اتصل بى الأستاذ أحمد فؤاد من القاهرة تليفونياً .. وبعد السلام التقليدى والسؤال عن الصحة سألنى قائلا :— تعرف واحد مستشار كويس وشجاع ؟!

فقلت له :— لماذا ؟ ؟

وإذا به يقول :— علشان نعمله نائب عمومى !!

وأجبته أنه كقاض يعرف رجال القضاء أكثر منى .. وأنا محام بالاسكندرية والمفروض أننى لا أعرف رجال القضاء جميعاً ..

ولكنه أصر على أن أفكر !!

وسكت لحظات كنت أفكر فيها بسرعة .. ثم قلت له :—

فيه واحد مستشار لا أعرف إسمه أصدر حكماً شجاعاً بالإفراج عن كتاب « خالد محمد خالد » .. « من هنا نبدأ » ..

وكانت الحكومة قد صادرته أيام الملكية عند صدوره .. وتظلم المؤلف طبقاً للقانون أمام محكمة الاستئناف .. فأصدر حكمه بالإفراج عن الكتاب !!

وسألنى مرة أخرى :— المهم إسمه إيه ؟ ؟

فقلت له :— الحكم منشور فى الطبعة الجديدة للكتاب .. ويمكن الرجوع إليه ..

وبعد انتهاء المحادثة التليفونية . . عدت إلى الكتاب . . فوجدت أن الحكم منشور فى المقدمة بعنوان « حكم من نور » . . وأن المستشار الذى أصدر الحكم إسمه « حافظ سابق » . .

وبعد يومين طالعت فى الصحف نبأ تعيين المستشار حافظ سابق نائباً عاماً . . وإلى هنا فالأمر لا يدعو للعجب !! . . لأن البحث عن رجل كفء وشجاع وعالم لكى يتولى منصباً قضائياً كبيراً هو شىء مطلوب . .

ولكن أحمد فؤاد أخبرنى بعد ذلك فى الاسكندرية عن الطريقة التى عينّ بها النائب العمومى فى منصبه الخطير ؟!

قال لى وهو مستغرق فى الضحك . . أن مجلس القيادة كلف البوليس الحربى بإحضار المستشار حافظ سابق . . فتحرى المختصون عن عنوانه . . وتوجهت إليه مجموعة من جنود الشرطة العسكرية بالموتوسيكلات بقيادة بعض الضباط فى سيارة !! . . وطلبوا منه ارتداء ملابسه على عجل . . والتوجه معهم لمقر القيادة !! . . وتساءل عن الأسباب . . فلم يجبه أحد . . لأنهم لا يعلمون سبب استدعائه !! .. ونزل الرجل معهم وهو فى حالة قلق شديد !! وأجلسوه تحت الحراسة المشددة فى غرفة بالدور الأرضى لمبنى القيادة !!

وكان مجلس القيادة مجتمعاً وقتئذ . . وطال الاجتماع . . وسعادة النائب العام الجديد فى حالة يرثى لها من القلق والخوف !!

وبعد فترة طويلة انفض الاجتماع .. ونبه الضابط الذى كان يتولى حراسته أحد أعضاء المجلس إلى وجوده بناء على طلبهم ؟!

فلما علم عضو مجلس القيادة بإسم الرجل . . قال له فى هدوء :—

مبروك . . إحنا عيناك نائب عمومى !!

نساء أسيرات في السجن!!

من مذكرات .. زينب الغزالي

وتروى السيدة «زينب الغزالى» التى كانت رئيسة لجماعة « السيدات المسلمات » ما أصابها هى وجماعة السيدات المسلمات .. من مراكز القوى .. من ظلم وبطش وطغيان .. فتقول :—

كانت ذروة المأساة فى عهد الإرهاب هى الزج بالمئات من النساء المسلمات فى زنزانات السجن الحربى .. وزنزانات سجن القناطر واتخاذهن رهائن حتى يقبض على الرجال .. أو وسائل ضغط وتحطيم حتى يدلى الرجال بما يريده الطغاة من اعترافات مزيفة يصنعون منها مؤامرة وهمية ليتخذوها سبباً فى التدمير البشرى للشباب المؤمن من المجاهدين من أبناء هذا الشعب !!

كانوا يقبضون على الأم التى جاوزت السبعين .. وقد تكون عمياء شلاء لا تقدر على الحركة !! كما يقبضون على الحامل التى وضعت حملها من هول ما رأت !! وانتزعوا الأمهات من أحضان الصغار !! وأخذوا العرائس فى ليالى زفافهن !! وقبضوا على فتيات صغيرات لم تتجاوز أعمارهن الثالثة عشرة !!

كما قبضوا على أسر كاملة رجالها ونساؤها .. فتياتها وفتيانها وشبابها

وشيوخها . . وكانت أسرة المرحوم حسن الهضيبي مرشد الإخوان المسلمين وأسرة الشهيد سيد قطب على رأس تلك الأسر !!

وقالت الحاجة زينب الغزالي :—

لقد جاءوا بالحاجة أم أحمد وهي في الثمانين إلى السجن الحربي .. ورأيتها عدة مرات تساق هي وزميلات لها إلى التحقيقات .. وما أدراك ما التحقيقات!!

لقد سألني شمس بدران عنها فقلت :—

هذه السيدة الفاضلة كل صلتها بالإخوان المسلمين أنها تقوم بخدمة أسر المسجونين وتمد يد العون لهم . . وتقدم لهم الطعام والكساء والمسكن .

قال شمس بدران :—

عبد الفتاح اسماعيل أعطاك جوالا من الديناميت لتسليمه إلى أم أحمد ؟!

قلت له :—

إتق الله .. صحيح عبد الفتاح عبده اسماعيل أعطاني أشياء لأم أحمد .. وكانت عبارة عن فانلات وكالسونات من القطن والصوف مطلوبة للمساجين الإخوان داخل السجون .

قال شمس بدران :—

وهل هذه ليست جريمة يا بنت الـ . . . وماذا أيضاً ؟!

قلت :—

بعض علب السمن والزيت وملابس لأبناء الإخوان وزوجاتهم . .

قال شمس بدران :—

تريدون يا ولاد الـ . . . ألا نعتبر كل هذا جريمة !! سنقطع رقابكم من أجل ذلك !!

وأضاف شمس بدران وهو يزمجر :— سنأتى بأم أحمد ونعلقها أمامك أما ابنتها فسنقطعها قطعاً !!

تلك يا ولدى الجرائم التي دخلت من أجلها النساء إلى السجن الحربى !!

وتضيف الحاجة زينب الغزالى :—

هذه يا ولدى هى قصة الحاجة أم أحمد !! فكيف كانت قصة الأم الفاضلة حرم الإمام المرشد المرحوم حسن الهضيبى ؟؟ لقد أحضروها إلى السجن الحربى بعد أن أحضروا زوجها الذى جاوز الثمانين . . وظلت فى السجن الحربى تحت مقاصل جاهلية شمس بدران وزبانيته .. ولما لم يستطيعوا أن يثبتوا عليها أى شىء إلا العمل الإنسانى الذى كانت تسهم به فى إعانة أسر المسجونين رحلوها إلى سجن القناطر لترتدى جلباباً من الدمور الخشن .. ولتنام على أرض السجن وتأكل من جردله !!

« قبضوا على ابنتها »

ولم تكن حرم المرشد وحدها . . ولكنهم قبضوا على ابنتها خالدة . . وعلية الهضيبى وكانت علية الهضيبى فى أيام حملها الأخير . . وقد خرجت من السجن الحربى لتضع مولودها . . لقد جاءوا بعلية الهضيبى والسيدة غادة عمار زوجة الطيار يحيى حسين الذى أفلت من المذبحة بأعجوبة إلى السودان .. أحضروها رهينة .. وانتزعوها من بين طفلتها الرضيع التى لم تتجاوز ٦ شهور وابنتها الأخرى التى لم يتجاوز عمرها السنتين !!

« الحياة داخل الزنزانة »

وقبل أن تأتى علية المضيبى . . وغادة عمار كنت قد أمضيت شهرين وأنا على أسفلت الزنزانة ودون غطاء ووسادة !! وقبل دخول غادة وعلية زنزانتى بنصف ساعة . . فتح باب الزنزانة وألقيت ثلاث بطاطين وثلاث وسائد . . وتعجبت للأمر !!

وبعد دقائق وجدت غادة وعلية تدخلان على . . وبقيا معى ثمانية عشر يوماً لا تخرجان من الزنزانة إلا إلى دورة المياه !!

بينما كنت أطلب للتحقيق من بدايته . . وأعود ممزقة بالسياط يقطر جسمى دماً !!

عندما كنت أعود أجدهما أحياناً نائمتين فلا أوقظهما وأحياناً ينتظرانى حتى أعود . .

وكان الجلادون يتركونى دون علاج . . وكانت علية المضيبى معها علبة كبريت لم يأخذوها منها فى التفتيش فكانت تشعل العود .. وتصنع منه رماداً تضعه على جروحى ليوقف الدم !! . .

ثم أخذت للتعذيب الانفرادى يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٥ وتركتهما .. وبقيت كل واحدة منهما فى السجن الحربى حوالى ثلاثة أشهر .. وخرجت «عليه» لتضع حملها !!

أما السيدة غادة عمار .. فقد كانت والدتها طريحة الفراش ووالدها رجلا مسناً . . فكانت لا تدرى ماذا صنع بالطفلين الصغيرين . . وماذا حدث لهما !؟

موسى صبري

يتحدث عن .. مراكز القوى

يقول الأستاذ موسى صبرى .. وهو يتحدث عن .. « مراكز القوى » :—

قال أنور السادات .. إرحموا جمال عبدالناصر .. كان موجها إلى كل شخص يريد أن يتاجر بارتداء قميص « عبد الناصر » كان موجهاً إلى من يملكون العزب .. ومصانع الدواجن .. وكسبوا من استغلال علاقاتهم بجمال عبد الناصر .. مئات الألوف بالعملات الصعبة والعملات المحلية .. ووجدوا الآن فرصة مثمرة للمتاجرة باسم الزعيم الراحل لمزيد من الكسب تحت ستار العلم ببواطن الأمور .. وبدعوى أرث جمال عبد الناصر .. وكأن زعامة الرجل كانت ملكاً لشخص بعينه أو أشخاص بعينهم !!

وإذا وجد اليوم فى بعض العواصم العربية من يحاولون النيل من النظام المصرى إشباعاً لأطماعهم وشهواتهم السياسية .. وذلك باستغلال اسم .. جمال عبد الناصر .. فلا بأس أن ينضم « المدعون بالأرث » إلى هذه العصابة مقابل أجر كبير معلوم باسم الحرية .. وباسم أمانة كتابة التاريخ .. وهم الذين عاشوا هذا التاريخ بلا أمانة وجعلوا من أنفسهم « مراكز قوة » طاغية ..

تشارك فى الحكم .. وتقدم نصيحة السوء .. وتبرر كل السلبيات استثماراً واستغلالا لزعامة الراحل الكبير !!

وهذه الفئة ومن يمثلها .. حاولت أن تلعب نفس الدور مع السادات !!

ولكن الرجل الذى عايش عبد الناصر فى كل مراحل الثورة والحكم ولمس الإيجابيات والسلبيات لم يسمح بتكرار اللعبة .. ورفض كل حيل وألاعيب محاولات الالتواء وحطمها .. واختار أسلوب حكم المؤسسات الدستورية .. وعدم تدخل غير المسئولين فى الحكم .. وهذه هى «الديمقراطية» السليمة التى لا تسمح بنشوء مراكز القوى !!

وببساطة شديدة .. ما هو مركز القوة ؟ ؟ انه واحد من اثنين .. إنسان غير مسئول دستوريا .. يتصرف وكأنه يشغل موقع مسئولية .. وبذلك تكون له السلطة .. دون أن يواجه المحاسبة على تصرفاته !!

أو إنسان فى موقع مسئول .. يتضخم نفوذه .. وتتضاعف سلطاته .. دون سند من القانون .. ويشيع جواً إرهابيا يوحى للغير بأنه فوق السلطة والمحاسبة !!

وفى ظل المساءلة البرلمانية .. وفى ظل حرية الصحافة المسئولة .. وفى ظل المناخ الديمقراطى الصحى الذى يشجع الخائفين والمترددين على الرأى الحر المسئول والمساءلة الدستورية .. فى هذه الأجواء الصحية لا يمكن أن تعيش مراكز القوى .. حتى لو تسللت وتكونت .. وحتى لو تصورت أنها آمنة مطمئنة .. لسبب بسيط واحد .. هو أن قيادة البلاد هى قيادة ديمقراطية بالفعل والقرار واحترام الدستور .. وإطلاق المسئوليات .. كما أن الشعب المفتوح الأعين .. المتيقظ لن يقبل وجود مراكز قوة .. فالقضاء اليوم هو قضاء الشعب المستقل المؤمنة سيادته الذى يفصل بين الحاكم والمحكوم بالقانون !!

جمال عبد الناصر

كان "ضحية" لمراكز القوى !!

ويتحدث الأستاذ « منير حافظ » مساعد سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر عن « مراكز القوى » .. ومدى نفوذهم .. وقوة سلطانهم .. حتى أن الرئيس جمال عبد الناصر أصدر أمراً بالإفراج عن « معتقل » ولكنهم لم يفرجوا عنه إلا بعد ستة شهور !!

تقدم مواطن ببلاغ إلى مكتب المعلومات يقول فيه .. أنه قريب للسيدة « زينب الغزالى » .. وأنه لاحظ نشاطاً غير عادى فى بيتها وأن عدداً من الإخوان المسلمين يزورونها .. وبالذات فان هناك شخصاً اسمه .. الشيخ عبد الفتاح .. يحيط نفسه بكثير من الغموض يلتقى بالحاجة زينب مرة أو مرتين كل شهر ..

ويعتقد المبلغ أنه رئيس الجهاز السرى للإخوان .. وأنهم بدأوا يزاولون نشاطاً كبيراً .. وأنه يحس بأن هناك تدبيراً جديداً لاغتيال الرئيس الراحل وأنه يتقدم بهذه المعلومات لأنه يخشى أن تتورط الحاجة زينب الغزالى فى آية أعمال قد تؤاخذ عليها .. خاصة وأنه علم بأن الإخوان يجمعون السلاح فى الشرقية .. ويرسلونه إلى قرية قريبة من دمياط .. وعين مكاناً فى جرن بالقرية يخبأ فيه السلاح !!

وأخطرت المباحث العامة ..

وجرى البحث عن السلاح المذكور فى المكان المشار إليه . . ولكن لم يعثر له على أثر . . وبعد أيام عاود المبلغ اتصاله بمكتب المعلومات . . وأفاد بأن موظفاً كبيراً بالمباحث العامة حذر الإخوان قبل عملية التفتيش عن السلاح وأنهم استطاعوا نقله قبل أن تجرى العملية . . وعين الموقع الجديد الذى نقل إليه السلاح ! !

وأضاف إلى روايته أن الذى يتزعم حركة الإخوان الجديدة هو « سيد قطب » . . وأنه ألف كتاباً بعنوان « معالم الطريق » . . يعتبره الإخوان دستورهم . . كما ألف أخوه ومساعده كتاباً آخر باسم . . « جاهلية القرن العشرين » . . وكلا الكتابين يتعرض للأسس التى يقوم عليها النظام بالنقد والتجريح . . ويعتبره الإخوان دستوراً لهم أيضاً ! !

وعرضت المعلومات على الرئيس الراحل . .

وكان المشير عامر موجوداً وقتها . . فطلب أن تتولى الشرطة العسكرية موضوع التحرى وراء هذه المعلومات ؟ ؟ . .

وبالفعل . . أكتشفت الأسلحة فى مكانها الجديد . .

وأذكر وقتها أن وزير الداخلية « شعراوى جمعة » استدعى سيد قطب لمناقشته فى الموقف وكان وقتها فى « دمياط » . . فرفض الحضور . . وقال . . إن وزير الداخلية إذا كان يريد مقابلته . . فعليه الحضور إليه حيث يكون ! !

وكان التعبير لهذا الرد أن سيد قطب يتكلم من مركز قوة بما يوحى أن وراءه شيئاً ! !

وأخيراً تم استدعاؤه رسمياً . . وكانت مقابلته لشعراوى جمعة عاصفة ! !

وكان مما ورد على لسانه أن دولة الثورة قد حان أوانها . . وعندئذ صدر أمر باعتقاله ! !

وأصبحت الشرطة العسكرية هي صاحبة الأمر والنهي في هذا الموضوع .. وكانت الاعتقالات تجري بأوامر منها . . ثم تسلمهم المباحث العامة إليها . . فينقلون إلى السجن الحربي حيث يجري التحقيق معهم ! !

وبدأت موجة جديدة من قصص التعذيب الرهيبة ! !

وكان أمر شديد الغرابة أن يأتي إلى مكتب المعلومات . . واحد من أهل المبلغ بالعملية ليقول إنه — أي المبلغ — قد أعتقل ! !

وكان طبيعياً أن يجري السؤال عن سبب اعتقاله . . فكان رد الشرطة العسكرية . . أنه يجري سؤاله عن بعض التفاصيل ! !

وطال اعتقال المبلغ ! !

ورفع الأمر للرئيس الراحل الذي طلب أكثر من مرة من المشير عامر الإفراج عنه .. ولكن اعتقاله طال إلى ستة أشهر برغم أوامر عبدالناصر !!

وعندما أفرج عنه أخيراً . . ذكر أن ذراعه قد كسرت أثناء التحقيق معه . . وأن الذي كان يحقق معه كان . . شمس بدران شخصياً .. وأن السؤال الوحيد الذي وجه إليه . . هو :—

لماذا توجه بمعلوماته إلى مكتب الرئيس . . ولم يتوجه إلى القيادة أو الشرطة العسكرية ؟ ؟ . . وما هي علاقته بمكتب الرئيس ؟ ؟

وهل هو من أفراد التنظيم الخاص الذي شكله الرئيس الراحل ؟ ؟

وكان الرجل بريئاً من كل ما نسب إليه . . وكان رده أنه من الطبيعي أنه يلتجأ إلى مكتب الرئيس . . فكان يجرى ضربه ضرباً مبرحاً . . ويحرم من الطعام !!

وفي إحدى المرات كسرت ذراعه . . فواجه المحقق معه وقال له : —

أنت « شمس بدران » ؟ .

قال : — وكيف عرفت ؟ ؟

قال : — إن قائد السجن الحربي . . وقائد الشرطة العسكرية يقفان لك احتراماً . . فإما أن تكون شمس بدران .. أو .. المشير . . وبما أنى أعرف المشير . . فلابد أن تكون شمس بدران ؟ !

وبعد هذه المواجهة توقف تعذيبه . . ولكن استمر اعتقاله .. حتى يلتئم كسر ذراعه الذى تبين أنه التأم فى غير موضعه !!

وعندما قرروا الإفراج عنه هددوه بأفظع مما جرى له إذا عاود اتصاله بمكتب الرئيس . . أو حكى ما شاهده فى أثناء اعتقاله !!

***

من مذكرات محمود الجيار ؟!

عبد الناصر عن قرب !!

أثناء زيارة قام بها جمال عبد الناصر إلى محافظة البحيرة ، صاح به فلاح فى « الخطاطبة » وهى محطة بلدنا :—

— فاكر يا جمال لما كنا بنسرق البطيخ من الغيط اللى هناك دى ؟ !

فانفجر جمال عبد الناصر ضاحكاً وهو لا يكاد يتمالك نفسه ثم التفت إلى قائلاً :—

عاجبك كده ؟ . . آدى احنا جينا بلدكم طلعنا حرامية !!

ولم يشعر الفلاح أنه قال شيئاً غريباً .. ولا شعر أيضاً جمال عبد الناصر فهو لم يشعر فى أى وقت بأنه انفصل عن الذين عرفهم فى طفولته وشبابه !! وهو كان فى الخطاطبة منذ السادسة من عمره ، حيث كان والده يعمل مديراً لمكتب البريد .. وهذا الفلاح كان واحداً من شلة الشقاوة القديمة التى تركب أعمدة التليفون وتتسلق النخيل وتسرق من حقول البطيخ . . . الخ !!

وقد ظل عبد الناصر وفياً لهذا الفلاح ، ولكل الذين عرفهم فى الطفولة ثم فى الشباب . . ثم لكل الذين خرجوا معه ليلة ٢٣ يوليو ، إلى اللحظة الأخيرة فى حياته . .

وما زلت أذكر كم تعبنا فى البحث عن فلاحة عجوز كانت جارة لهم أيام طفولته فى الخطاطبة لكى نربط لها معاشاً فى شيخوختها . .

وما زلت أذكر ، قبل الثورة ، كم كلفنى بتسديد ديون زملاء لنا من الضباط الأحرار ، تورطوا فى قروض من بعض المرابين اليهود !!

وما زلت أذكر بعد الثورة ، كم كلفنى بأن أسدد من مرتبه بعض أعباء العلاج لبعض زملائه . . حتى بعض الذين اختلفوا معه . . ومن هؤلاء — مع الأسف — بعض الذين تصدروا حملة التشهير به بعد وفاته !!

هذا الوفاء من جانب عبد الناصر كان إحدى سماته الأساسية . .

وأستطيع أن أقول وأنا مستريح الضمير أن هذا الوفاء كان نقطة الضعف التى أتاحت لبعض العاملين معه أن يسيئوا التصرف وهم آمنون . . وأن يتحولوا إلى مراكز قوة تفرض نفسها على السلطة باسمه ، ثم تكاد تنتزعها منه !!

* * *

(شمعة)

فى بيت حافظ عفيفى . .

لا أشك فى أن كثيرين سيدهشهم هذا الكلام فقد شاع عن عبد الناصر أثناء حكمه وبعد وفاته أنه كان رجلاً حديدياً . . لا قلب له !!

وبعض الذين يقولون هذا لهم العذر . . ففى تاريخ حكمه صور من القسوة ما يمكن أن تغذى هذا الاعتقاد !! لكننى أخون أمانة التاريخ لو جاريت هذا التصور العام . . لأننى رجل عاشرته من قرب وعرفت براءته من كثير مما نسب إليه !!

قبل الكثير ، مثلاً عن أسلوب الثورة فى اعتقال خصومها .. وزعم البعض أن عبد الناصر كان يكلف رجاله بإهانة الذين يعتقلونهم .. حتى يحطم احترامهم لأنفسهم !!

ولكننى شخصياً كنت عضواً فى إحدى فرق الاعتقال فى أوائل الثورة وأشهد أن أوامر عبد الناصر كانت تلزمنا بتجنب أية إساءة .. والحظر من أى إجراء يمثل نوعاً من التشهير بالشخص الذى سنعتقله !!

وقد حدث أننا ذهبنا مرة لنعتقل أحد المطلوب اعتقالهم . وكان العنوان خطأ .. فلما فتحت لنا ربة البيت ورأتنا ولولت صارخة .. وفى اللحظة التالية لم تجدنا أمامها .. فقد تبخرنا هاربين إلى الشارع !!

وفى نفس الليلة ذهبنا لنعتقل « حافظ عفيفى باشا » الذى كان من رجال الانجليز ورئيساً سابقاً للديوان الملكى ، وله كتاب مثير اسمه « الانجليز فى بلادهم » .. يتغزل فيه فى كل ما هو انجليزى .. وكان الرجل يقيم بمفرده فى فيلا كبيرة فى القبة .. وكانت مجموعة الاعتقال تتألف من ثلاثة أشخاص : حسن التهامى المندفع .. وكمال رفعت القوى .. وأنا أوازن بين الطرفين ..

واستقبلنا حافظ عفيفى مرتبكاً مستسلماً وتركنا نفتش فى الفيلا .. وإذا بالنور ينطفأ فجأة .. فقفز التهامى وكمال رفعت قفزة واحدة وأطبقا على الرجل وصاح التهامى :—

مين معاك هنا ؟ .. مين اللى طفى النور ؟ .. ولم يدر الرجل كيف يجيب فلم يكن معه أحد .. وأسرعت أتدخل قائلاً له :— عندك شمع ؟؟

فقام الرجل وأحضر لنا شمعة .. وواصلنا التفتيش !! وإذا بحسن

التهامى يعثر على أوراق كوتشينة عليها رسوم فتيات بالمايوه فاندفع نحو حافظ عفيفى صائحاً :— إيه ده ؟ . . مش عيب تبقى راجل عجوز وعندك حاجات بالشكل ده ؟ !

ومرة أخرى لم يدر الرجل بماذا يجيب . . ومرة أخرى تدخلت وقلت لحسن التهامى :— إحنا مالنا يا أخى ؟ .. عايزين نخلص مهمتنا ونروح لحالنا .

ومضى وقت طويل قبل أن أنجح فى فض الموقف . . ولا جدال فى أن هذا الذى جرى لحافظ عفيفى أثناء اعتقاله كان ينطوى على قسوة لا مبرر لها ولا جدال أن حافظ عفيفى قد وضع مسئولية ماجرى له على عبد الناصر !! بينما كان الذنب ذنبنا نحن !!

وقد كان هذا حظ عبد الناصر فى كثير مما نسب إليه بعد ذلك على المستوى السياسى !!

كان ذنب مراكز القوة مثلاً . . ألصقت بعبد الناصر وهى تتم من ورائه ويرتكبها رجال المشير . . ومجموعة من الموظفين الذين انتهزوا فرصة انصرافه إلى إعادة بناء الجيش لكى يحكموا بعيداً عن رقابته !!

المصادمات التى حدثت مع مظاهرات الطيران عام ١٩٦٨ . . يعلم الجميع أن خسائر الشرطة فيها كانت أضخم من خسائر المتظاهرين .. ولكن لا أحد يعلم أن السبب كان أوامر صريحة من عبد الناصر بألا تحمل الشرطة أى سلاح فى وجه المتظاهرين . . ولم نذهب بعيداً ؟ ؟

لقد ظلم عبدالناصر منذ أوائل الثورة عندما نسب إليه قرار حل الإخوان

المسلمين .. فالواقع أن الذى صمم على هذا الحل — وهذا سر أذيعه لأول مرة — كان محمد نجيب !!

كان قد قام بجولة من القاهرة إلى الصعيد ومعه عبد الناصر .. وفى كل اجتماع عام خطب فيه كان الإخوان يستولون على الميكروفون ويرددون شعاراتهم فى مواجهته .. واستمر هذا الوضع طوال رحلة العودة أيضاً ، حتى وصلنا إلى الخراتية .. وهنا اضطر عبد الناصر أن يظهر فى الصورة ويعتلى المنصة بدلاً من محمد نجيب .. ويرد على هتافات الإخوان قائلاً :—

لا تكونوا كالببغاءات .. تقول ولا تفهم !!

وواصل عبد الناصر خطابه بأسلوب أقنع الجميع بالسكوت والإنصات !!

وبعد هذا جاء حل الإخوان .. فنسب إلى جمال عبد الناصر .. بينما الحقيقة أن عبد الناصر قاوم الفكرة .. ولم يرضخ لها إلا بسبب إصرار نجيب !!

وقد يبدو هذا غريباً لأن الإخوان فيما بعد تحالفوا مع نجيب ضد عبد الناصر ولكن ذلك الحلف كان بالنسبة إلى نجيب صفقة أملتها عليه مصلحته !! عندما بدأ الصراع بينه وبين مجلس قيادة الثورة !!

* * *

حوار مع .. هدى عبد الناصر ؟ !

ويقول الأستاذ « محمود مراد » فى كتابه « حوار مع هدى عبد الناصر » :—

لقد كانت اعتقالات كثير تتم دون أن يدرى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ مثلا تم القبض على مجموعة من رجال الأحزاب السابقة . . وبينهم فؤاد سراج الدين . . ولما علم عبد الناصر أمر بالإفراج عنهم فوراً . . إن أوامر الاعتقال كانت تصدر من الذين تولوا مسئولية الأمن وكان أسهل ما لديهم القبض درءاً للخطر . . وفى مرات كثيرة كان عبد الناصر يثور ويغضب ويعنفهم . . ثم يجب ألا ننسى المؤامرات التى تعرضت لها الثورة خلال سنواتها . . وبالذات فى مرحلتين دقيقتين :—

أولهما :— بعد قيامها مباشرة .. أى فى النصف الأول من الخمسينيات ..

وثانيهما :— بعد التحول الاشتراكى فى النصف الأول من الستينيات ..

ولا يجب أن ننسى — كذلك — الجهات التى لعبت أدواراً خطيرة فى الإيقاع بين الثورة والآخرين ! !

لقد قال فؤاد سراج الدين مثلا — أخيراً — أنه خلال المباحثات مع

قيادة الثورة سنة ١٩٥٢ سافر إلى الاسكندرية . . ثم عاد إلى موعد لقاء رجال القيادة . .

وبينما كان فى طريقه إلى القاهرة قرأ خبر فى جريدة « آخر لحظة » ملحق آخر ساعة التابعة لأخبار اليوم :— أن فؤاد باشا قد صرح بأنه تفاهم مع رجال الثورة . . وأنه قد وضعهم فى جيبه ! !

هكذا كان الخبر .. وقد كذبه فؤاد سراج الدين .. لكنه وقتها أحدث فرقعة ! ! وهذا مثال بسيط جداً فهناك أمثلة عديدة من الذين كانوا يوقعون ويسفهون الآخرين ! !

ثم هل ننسى أن الثورة قام بها مجموعة كبيرة من الضباط . . إلى جانب مجلس القيادة . . وأن كلا من هؤلاء كان يتصرف وكأنه وحده وبأفكاره الذى يحمى الثورة وينقذ البلد .. لقد كان كل واحد من هؤلاء يعتبر نفسه أنه الذى قام بالثورة . . وأن أفكاره هى الأصلح وأن له حقوق عديدة . . بل وأن له امتيازات الحاكم بقوته وسلطانه ! !

تقول هدى :— لقد بذل أبى — فيما قال لى ورويته لك — جهداً خرافياً حتى يسيطر على هؤلاء وينقذ البلد مما يرونه الصواب . . ولذلك وبرغم شطحات هنا . . أو شطحات هناك . . تعتبر ثورة ٢٣ يوليو — قياساً على غيرها من الثورات سواء فى التاريخ القديم أو المعاصر — ثورة بيضاء .. وهذا ليس استنتاجاً من بطن المجهول . . فلننظر حولنا . . نتفكر . . ونرى ! !

واستطردت هدى قائلة .. إن أول مرة شعرت فيها بالسعادة هى وأسرتها منذ الرحيل الحزين فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . . كانت عندما أطاح الرئيس أنور السادات بجماعة مايو ١٩٧١ . .

إننى أتذكر جيداً عقب عودة أبى من قصر القبة بعد أن ألقى رسالته إلى الأمة فى ٩ يونيو ١٩٦٧ معلناً استعداده لتحمل المسئولية .. مقرراً تنحيه عن رئاسة الجمهورية !!

كان المشهد موحشاً كئيباً !!

كل رجال الدولة وكبار المسئولين واجمون !! .. الحزن يطل من عيونهم !! والفزع يكسو ملامحهم !! .. ومن بين هؤلاء كان سامى شرف يبكى ثم أغمى عليه لينقلوه إلى مكتبه المجاور !! .. أما شعراوى جمعة فكان يولول فى بكاء مرتفع الصوت !! .. ومن خلال تشنجاته جلس على سلم البيت وهو يصرخ :—

إحنا لينا مين غيرك يا ريس ؟ ؟ .. وتستطرد هدى :— كانت هذه الصورة فى ذهنى باستمرار .. وفجأة تجىء صورة أخرى من مشاهد ٢٨ سبتمبر !!

لم أكن ساعة الرحيل المؤلمة فى منشية البكرى — مقر الرئيس عبد الناصر — وعندما وصلت كان رجال الدولة أيضاً فى البيت .. وكان بينهم سامى شرف وشعراوى جمعة .. وكم كانت دهشتى عندما رأيتهما جامدين !!

أين البكاء والعويل المرتفع ؟ !

أين الإغماء والتشنج ؟ !

طبعاً — تقول هدى مستنتجة — لقد فعلوا ما فعلوه من حركات فى ٩ يونيو ١٩٦٧ لأن الرئيس كان حياً !! .. لكن فى ٢٨ سبتمبر الذى يستدعى — لو صدقوا — أن يمزقهم الألم .. لم يغمى على أحد منهم .. لأنه من المهم أن يكون واعياً حتى يدبر حاله .. فالرئيس قد رحل .. وبقيت السلطة للصراع !!

قالت هـدى :— وهي تسترسل فى الذكريات — عرفت أشياء كثيرة خلال عملى معه كسكرتيرة .. أدركت بيقين لماذا داهمه مرض السكر ؟ .. ولماذا أصابته الأزمة فى القلب ؟!

كان كل الذين حوله يلقون عليه المسئولية . . يشركونه فى كل صغيرة وكبيرة .. والأدهى من ذلك أن «البوستة» كانت تدخل له كما هى «برمتها»؟!!

إن أى رئيس — لأى إدارة — . . وأى مدير — لأى قسم — تقوم سكرتاريته بعرض « البوستة » عليه بطريقة منظمة .. مع ملخص لها مصحوباً أحياناً بالرد . . أو بالمعلومات المطلوبة أو بإيضاح الموقف . . وأى مسئول لا تعرض عليه الصحف والمجلات كما هى . . إنما بإشارة لما فيها . . مما يدخل فى نطاق اختصاصه واهتماماته . . وهكذا . .

لكن البوستة بمختلف أنواعها . . والصحف بأكملها كانت تعرض على أبى — رئيس الجمهورية — كما هى ليغرق هو فى قراءة عشرات بل مئات الأوراق . . ويفحص بنفسه الصحف والمجلات . . كان ذلك بينما الاتصالات التليفونيه به لا تكاد تتوقف !! . . والاستفسارات تنهال عليه . . والذين يريدون مقابلته هو وليس غيره تشغل وحدها كل الوقت . . علاوة على أن الذى يجىء للمقابلة تسبقه بالضرورة دراسة عنه .. وعن المواقف والموضوعات التى سيبحثها أو من المحتمل أن يناقشها !!

وللأسف فإن هذه الدراسات التى كانت تعدها أجهزة معينة كانت من النوع « البايت » القديم . . حيث كان أبى يقلب صفحاتها فى تهكم أحياناً . . وفى حسرة أحياناً أخرى . . ويقول وهو يضيف إليها معلومات جديدة .. إن لديه

تفاصيل أحدث مما لدى الأجهزة .. وبيانات أدق مما عندها !!

كان أبي صاحب شخصية قوية .. وهناك بالطبع خيط رفيع بين الحاكم قوى الشخصية .. وبين الطاغية !!

ويلتقط حاتم صادق طرف الخيط ليقول :—

قبل أن ألتقى به كانت نظرتى إليه تنطوى على رهبة لكنى عندما لقيته لأول مرة سنة ١٩٦٤ فوجدت به غاية فى الرقة .. إنسان بكل ما تشمل هذه الكلمة من معان نبيلة !!

وعادت هدى تقول :—

كانت رقته هذه لاتختلف تماماً .. ولا تتنافى مع مواقفه السياسية الحادة .. تصبغ علاقاته بالآخرين .. سواء بأسرته أو برجال الدولة .. انني لم أسمعه مرة حتى فى أكثر المواقف تعقيداً وحدة يسب أحد أو يضرب !! كانت نظرة من عينه تكفى !!

منذ سنوات طويلة .. عندما كان فتحى رضوان وزيراً للإرشاد القومى .. فوجىء بالمرحوم محمد فهمى السيد .. وقد سحب بصفته مستشاراً قانونياً للرئاسة مشروعاً من اللجنة التشريعية لمجلس الأمة كان هو قد أرسله إليها ..

واستشاط فتحى رضوان غضباً وذهب إلى جمال عبد الناصر يشكو .. واستمع إليه الرئيس ثم قال :— كما يروى حلمى سلام — خلاص يا أخ فتحى أنا أمرت بإرجاع المشروع مرة أخرى إلى اللجنة .. لكن فتحى رضوان سأل :— ولكن ماذا فعل الرئيس مع فهمى السيد ؟ .. فأجابه عبد الناصر بهدوء :— يا أخ فتحى عايزنى أعمل إيه ؟ .. أنا مش زى جمال سالم .. أنا عارف إن نظرة منى إلى معاونى .. تفعل بهم ما لا يفعله الضرب بالشلاليت !!

مراكز القوى .. وثورة التصحيح

وعن مراكز القوى .. وثورة التصحيح يتحدث الأستاذ فهمى حسين فهمى مندوب مجلة « صوت العروبة » . . فيقول :—

الكاتب المحايد .. والمؤرخ المنصف الذى كتب عن الثورة المصرية . . ثورة ٢٣ يوليو . . أشاد كل منهما عن ما حققته هذه الثورة للبلاد من إنجازات وإيجابيات . . ومنها على سبيل المثال لا الحصر .. بناء السد العالى وتأميم القناة وبناء المصانع والمدارس والمستشفيات وإنصاف العمال والفلاحين . . . الخ . .

هؤلاء الدين أشادوا بهذا كله . . أشاروا أيضاً إلى أخطاء الثورة . . وفى مقدمة هذه الأخطاء . . « مراكز القوى » . . هؤلاء الأقزام أو الشياطين الدين كانت تضطرب وتفزع عند ذكر أسمائهم قلوب المواطنين الآمنين بما لهم من شهرة فى الظلم والاستبداد والقسوة والإرهاب ! !

ولهذا قامت ثورة التصحيح التى قادها السيد الرئيس محمد أنور السادات وكان نجاحه فى القضاء على مراكز القوى سبيلا إلى النصر والعبور وهزيمة العدو الإسرائيلى الغاشم . .

لقد حاربوا العدالة واستهانوا بالقانون . . وساقوا الألوف من الأبرياء إلى السجون والمعتقلات بدون تهمة ولا تحقيق !! . . وامتدت أيديهم تبطش

بالعدالة بما سمى بعدئذ « بمذبحة القضاء » .. وسلطوا الغوغاء والأذناب باقتحام مجلس الدولة والإعتداء على رئيسه المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى !!

ويوم أن كان القاضى الكبير الذى يتصدر منصة القضاء ويحكم بالسجن والإعدام على الأبرياء .. وأحكامه لا تقبل المعارضة والاستئناف ولا النقض والإبرام .. هو ذلك «الدجوى» الذى لا يفقه ولا يدرى شيئاً فى التشريعات والقوانين !!

لقد بدأت ثورة التصحيح بحرق جميع الأشرطة والتسجيلات التى كانت وسائل للتجسس على الناس وتهديدهم والتنكيل بهم !!

ثم قامت ثورة التصحيح بإقصاء من بقى من مراكز القوى على قيد الحياة من مناصبهم وتقديمهم للمحاكمة لينالوا جزاؤهم العادل وعقابهم الرادع .. وليكونوا عبرة لمن اعتبر .. « ولكم فى القصاص حياة » !!

وأصبحنا نشاهد هؤلاء المردة والشياطين فى المحاكم .. وفى قفص الاتهام نشاهدهم كما نشاهد القردة والنسانيس .. والأفاعى والذئاب فى حديقة الحيوان !!

« إن بطش ربك لشديد » !!

اللهم لا شماتة .. أهؤلاء هم مراكز القوى ؟! إنهم فى الحقيقة لا يستحقون فى وصفهم إلا تسميتهم أنهم حشرات وميكروبات وجراثيم تسللت إلى جسد الأمة العربية فأصابته بالمرض والضعف والهزال حتى جاءت ثورة التصحيح فقضت على هذه الآفات والميكروبات وأعادت للوطن صحته وعافيته .. وللشعب أمنه وطمأنينته .. وللقضاء هيبته وعدالته ..

في موكب الثقافة

كتب لى هذه الرسالة ولدى (أنور)

عضو (رابطة الأدب الحديث)

يقـول : ـ

* * *

أبى العزيز . .

تحياتى واحترامى لـكم وبعد . .

لاشك أنـكم تعلمون حبى للقراءة . وشغفى بالإطلاع حتى سعدت بقراءة كتابكم هذا . . « جمال عبدالناصر .. بين خصوم وأنصار » قبل طبعه .

ولتسمحوا لى بأن أشير إلى ملاحظة عابرة قرأتها فى هذا الـكتاب . فاستوقفت عندها لحظة . . وقد أسترعت اهتمامى وتفكيرى ! ! فأحببت أن يكون لى رأى أبديه فى هذا السجل الأدبى الوطنى التاريخى الذى أرانى أعتز وأفخر به بين إخوانى الأدباء . . والزملاء والأصدقاء . .

ولقد شجعنى على كتابة هذه الملاحظة ما لمسته منكم من حبكم وتقديسكم لحرية الرأى والنقد النزيه . .

* * *

لقد كتبتم عن « مراكز القوى » التى كانت بمثابة « السرطان » فى جسد الأمة المصرية وكاد يفتك بها هـذا الداء الخبيث . . لولا أن أنقذها الله على يدى هذا الزعيم الحكيم والقائد الجراح الماهر « محمد أنور السادات » الذى استطاع بحكمته أن يبتر ويجتز هذا المرض اللعين من جسد الوطن المنكوب بهم !!

كتبتم عن هذا يا أبى . . ولم تكتبوا عن السبب الحقيقى فى خلق « مراكز القوى » وإن كنتم أشرتم إلى ذلك إشارة عابرة فى كلمة الكاتب العبقرى الأستاذ إحسان عبد القدوس التى نشرتموها له فى كتابكم هذا . . والتى كان ختامها حكمة رائعة . . وهى : « والعبيد هم الذين يخلقون الطغاة »

كلمة صغيرة وحكمة بليغة كانت تستحق منكم الشرح والإسهاب وأن تشيروا إلى « مواكب النفاق » . . هؤلاء المنافقون الذين وصفهم الله فى كتابه العزيز بأنهم . . « فى الدرك الأسفل من النار » والذين تراهم فى كل مكان وزمان يطبلون ويزمرون ويصفقون ويهتفون لكل ذى جاه وسلطان !!

يقولون للظالم أصبت . وللمسىء أحسنت . . فيزداد الظالم ظلماً وطغياناً والمسىء إساءة وعدواناً !!

ولقد أعجبنى يا أبى شرح هذه الكلمة الحكيمة « والعبيد هم الذين يخلقون الطغاة » من الكاتب الكبير الأستاذ مصطفى أمين فى صحيفة أخبار اليوم . . وقد تناول هذا الشرح والإيضاح فى قصة شيقة طريفة آمل أن تذكروها فى كتابكم . . فهى خير ما قرأت من النقد العنيف الطريف « لمراكز القوى » !!

قصة الجمل

ذات يوم أرسل الخديو إلى القرية الصغيرة أحد جنوده الشراكسة .. وجعله حاكماً على القرية .. ومنحه كل السلطات .. فهو القاضي وهو الجلاد وهو العمدة وهو الصراف وهو الآمر الناهي الذي لا شريك له في هذا الملك والسلطان !!

وكان الجندي يتنقل في القرية فوق جمل كأنه العرش المتحرك وعندما ينتهي الجندي الشركسي من طوافه يطلق الجمل في الحقول .. فيأكل محصول الفلاحين ويدوس القمح الذي يزرعونه بأقدامه !!

وكان الجمل جائعاً دائماً لا يشبع أبداً !!

وضاق أهل القرية بجمل الشركسي الذي يلتهم قمحهم ويدوس عرقهم ويعبث بمزروعاتهم !!

فاجتمعوا جميعاً غاضبين حانقين ثائرين مهددين ومتوعدين !!

وقال الفلاحون : — لا بد من قتل الجمل !!

وتدخل عقلاء القرية وقالوا أنه يحسن أولاً أن يذهب جميع الرجال والشبان في مظاهرة صامتة إلى مقر الحاكم الشركسي .. ويقدموا إليه احتجاج القرية على ما يفعله الجمل بزراعة السكان الفقراء المعدمين ويطالبوه بأن يدفع للفلاحين تعويضاً عما سرق الجمل منهم !!

فإذا أبى الحاكم .. ذبحوا الجمل ووزعوا لحمه على القرية تعويضاً عما نهبه الجمل .. وتحمس الفلاحون للفكرة .. وانتظموا فى صفوف واتجهوا إلى مقر الحاكم ..

وإذا بالحاكم يخرج عليهم يحمل سوطاً كبيراً !!

وكان الفلاحون على بعد مائة متر عندما رأوا السوط فى يد الجندى الحاكم .. وتوقف بعضهم عن السير رعباً !!

ولكن ثلاثة أرباعهم استمروا فى طريقهم إليه .. وعلى بعد خمسين متراً رأوا الجندى يرفع السوط ويلوح به فتوقف نصفهم وقد انخلعت قلوبهم !!

وعلى بعد عشرة أمتار تسمر الباقون عندما سمعوا الحاكم يضرب الأرض بسوطه .. فيحدث السوط صوتاً مرعباً !!

ولكن أربعة منهم مضوا نحو الحاكم !!

ولوح الحاكم بسوطه وصرخ فى وجوههم وعيونه تتطاير منها الشرر :—

ماذا تريدون خرسيس ادريسيس فلاح ؟!

وكان الفلاحون يعرفون معنى هذه الشتائم التركية إن معناها :— أيها الكلاب الوقحاء أيها الفلاحون !!

وتلعثم الشجعان الأربعة وقالوا :—

نريد .. نريد .. نريد أن نرجو سعادتكم أن تشتروا للجمل ناقة لتسلى الجمل فى وحدته !!

وبدل أن يأكل المزروعات جمل واحد .. يأكلها جملان !!

ووعدهم الجندى الحاكم بأن ينظر فى هذا الالتماس بعين العطف !!

وهكذا انقلبت الثورة على مصيبة جمل الحاكم !! بأن يجعل المصيبة مصيبتين فيجىء الجندى الحاكم لجمله بناقة لتسليه وتأكل ما بقى من زراعة الفلاحين !!

جمال عبد الناصر
"وحرب اليمن !!"

دخلت مصر .. « حرب اليمن » . . وفقدت الألوف من خيرة جنودها وضباطها عدا ملايين الجنيهات التي ضاعت في حرب . . لا ناقة لنا فيها ولا جمل !!

من المسئول عن هذا . . أهل هو . . جمال عبد الناصر أم غيره ؟ ؟

ونكسة عام ١٩٦٧ .. هذه « النكسة » التي كانت شر هزيمة أصابت مصر في جيشها . . وكانت بقعة سوداء في تاريخها .. وطعنة شديدة في كرامتها وخسارة كبرى في الأرواح . . والمعدات الحربية . . والأموال التي بلغت ألوف الملايين !!

من المسئول عن هذا . . هل هو . . جمال عبد الناصر . . أم غيره ؟ ؟

هذه التساؤلات جميعها . . ستقرأ الرد عليها ؟ ؟

وستقرأ الجواب الصحيح في الصفحات التالية . . صفحات الاتهام . . وصفحات الدفاع !!

حرب اليمن

يكشف كلا من حسن ابراهيم والبغدادى الأسرار التى كانت وراء حرب اليمن والتى لا شك لها تأثيرها فى نكسة ١٩٦٧ فى كتاب «الصامتون يتكلمون» قال حسن ابراهيم وعبد اللطيف البغدادى :

للتاريخ .. عبد الناصر لم يكن مستعداً للاشتراك والتورط فى هذه الحرب إنما أعطيت له معلومات خاطئة . . وقدمت لنا فى مجلس الرئاسة . . فوافقنا بالإجماع على تأييدها تأييداً رمزياً . . وكانت المعلومات الخاطئة التى قدمت إلينا تتلخص فى الثلاث نقاط الآتية :—

١ — الملك البدر قتل !

٢ — القبائل كلها تؤيد الثورة !

٣ — السلال يسيطر تماماً على الموقف !

وأن المطلوب من مصر التأييد الرمزى العسكرى للثورة لمنع قوات السعودية من التحرك لضرب الثورة ! !

وتبين بعد ذلك أن كل المعلومات كانت خطأ :—

١ — البدر لم يقتل !

٢ — أغلب القبائل لم تؤيد كلها الثورة !

٣ — أن القائد الفعلى للثورة كان المرحوم النقيب على عبد المغنى الذى استشهد فى المعارك بعد ذلك . . وأنه فى بداية الثورة استعان بالسلال لإنجاح الثورة اليمنية.

حقيقة كانت حرب لا مبرر لتورطنا فيها .. وقد أحس بذلك جمال عبد الناصر وكان معترفاً به .. وأذكر أننى كنت أركب إلى جواره فى السيارة .. ودار الحديث ونحن نسير فى شارع رمسيس عن حرب اليمن وخسائرنا فيها فقال لى بالحرف الواحد : —

إحنا انزلقنا ولا يمكن أغامر بعد كده بالجيش إطلاقاً ويؤكد البغدادى قصة تورط عبد الناصر فى الحرب رغم حذره منها فى البداية .. قال لى : —

كنا فى الاسكندرية فى صيف ١٩٦٢ .. وأبلغنا أنور السادات أنه علم من عبد الرحمن البيضانى .. وكان لاجئاً سياسياً فى القاهرة .. وهو من أبناء اليمن .. إن الجيش فى اليمن سيقوم بثورة على حكم البدر فى خلال أيام !! ثم قامت الثورة .. وطلب البيضانى طائرة مصرية حربية للسفر إلى اليمن لاستطلاع الموقف .. وعرض السادات هذا الطلب على عبد الناصر .. إلا أن عبد الناصر رفض حتى لا يتردد أن لمصر يداً فى الثورة !!

واقترح عبد الناصر أن نطلى إحدى الطائرات الحربية لتصبح وكأنها طائرة مدنية تابعة إلى شركة مصر للطيران ويصحبه فى الرحلة اللواء على عبد الخبير .. وفعلاً سافر البيضانى بهذه الوسيلة .. ومعه اللواء على عبد الخبير .. وهبطت الطائرة فى مطار الخرطوم .. ثم استأنفت رحلتها إلى صنعاء !!

وجاءت المعلومات أن الثورة نجحت وقتل الأمام البدر وأن البيضانى

يقترح إرسال مساندة . . حتى يقال فى التاريخ أن مصر ساهمت فى تحرير اليمن من حكم الأئمة !!

وأصدر عبد الناصر أوامر بسفر سرية عسكرية بالباخرة . . ومعهم طائرة تدريب مفكوكة على أن لاتدخل السفينة ميناء اليمن .. إلا بعد صدور أوامر لها من بذلك . .

وكانت رحلة الباخرة تستغرق ١٥ يوماً . .

ونزل أفراد السرية اليمن . . وظهر أن البدر لم يمت . . وأن عدداً من القبائل تنضم إليه . . وبدأت السعودية فى مساعدته !!

وأحس عبد الناصر أن زعامته للأمة العربية ستهتز لو توقف عن مساندة ثورة اليمن .. بالإضافة إلى كرامته ونظرته إلى اعتبار المعركة بينه وبين فيصل شخصياً .. وأصدر أوامره بنقل جيش بأكمله إلى اليمن !!

وكانت حرب اليمن !!

وسقط آلاف الضحايا !!

وخسرت مصر الملايين !!

ورفض عبد الناصر الاستماع إلى كل نصيحة بالانسحاب من اليمن .. والتوقف عن الحرب !!

واستمرت حرب اليمن .. وبدأ الشعب يتكلم عن الخسائر التى نتكبدها وعلى أنها استنزاف فظيع .. وفتح عبد الناصر المعتقلات .. وزج بالآلاف الذين كانوا يعارضون سياسته إلى داخلها !!

نائب رئيس جمهورية اليمن السابق يتحدث

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن البيضانى نائب رئيس جمهورية اليمن السابق .. فيقول :--

ذكر السيد عبد اللطيف البغدادى أن مصر تورطت فى الحرب اليمنية نتيجة معلومات خاطئة وصلت إليها من اليمن .. وتفيد أن الشعب اليمنى لم يكن يؤيد التغيير والنظام الجديد !! وأن الدكتور عبد الرحمن البيضانى أبلغ الرئيس عبد الناصر قبل قيام الثورة اليمنية بأن الجيش اليمنى سوف يقوم بثورة خلال أيام .. ثم طلب من الرئيس طائرة حربية تقله إلى اليمن حتى يقدر الموقف من هناك .. وقد أعطاه الرئيس الراحل طائرة بعلامات مدنية .. فلما وصل إلى اليمن نصح البيضانى الرئيس عبد الناصر بإرسال القوات المصرية إلى اليمن حتى .. « تدخل مصر التاريخ » !!

فى اعتقادى أن للأخ البغدادى كامل الحق فى تقييم سياسة الرئيس عبد الناصر وأسلوبه فى الحكم .. لكن عندما يتعرض الأخ لمواقف يمنية مصرية تاريخية .. فان الأمر يختلف .. فمن الثابت تاريخياً أن الشعب اليمنى حاول أكثر من مرة أن يغير نظام حكمه قبل قيام الثورة المصرية .. محاولة الإمام المصلح « عبد الله الوزير » عام ١٩٤٨ .. محاولة الشهيد أحمد يحى الثلايا عام ١٩٥٥ .. وكانت هذه الحركات تفشل لأن الظروف المختلفة فى اليمن تؤدى إلى حيرة وسلبية الجماهير .. فهى تدعو لإنجاح التغيير .. لكنها لا تستطيع التصفيق له إلا بعد أن تتأكد من النجاح ..

لاتستطيع التصفيق له إلا بعد أن تتأكد من النجاح .. وأثناء ذلك تفشل الثورة .. وتبكى الجماهير !!

وعن الثورة الناجحة فى عام ١٩٦٢ .. فان هناك عكس مايقوله الأخ البغدادى تماماً .. كانت القيادة السياسية المصرية على علم واف بتفاصيل ما يجرى وما سيجرى فى اليمن قبل الثورة على الأقل بستة شهور !

لقد استكملنا إمكانياتنا الضعيفة من مصر بما لا يزيد — قبل الثورة — على خمسين قنبلة يدوية .. وعشر رشاشات « بورسعيد » .. وخمسين مسدساً .. وعدد محدود من ذخيرة البنادق القديمة فى اليمن .. وكان القصد من ذلك تطمين القائمين بالتغيير .. وحراسة المنشآت الحيوية فى العاصمة اليمنية بعد قيام الثورة !!

كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يعلم ومعه كبار المسئولين فى مصر بأننا نستطيع الاستقرار بعد نجاح الحركة أربعة أيام فقط وبعدها تعلق رؤوسنا فوق الأشجار كمن سبقونا .. لكن الجماهير التفت بايجابية ساحقة حول الحركة .. فاستطعنا أن نصمد . وبعد أربعةعشر يوماً وصل أول جندى مصرى إلى اليمن !!

هذه هى الحقيقة كما أوردتها . إذن قرار مصر بمساندة شعب اليمن وسام تاريخى يعلق على صدر مصر .. ومما يبرر وضع هذا الوسام على مصر ما يجرى الآن فى مقدور الأخ الرئيس اليمنى « إبراهيم محمد الحمدى » أن يطور هذا البناء الحضارى بما يكفل قيام دولة عصرية .. بفضل المساعدات المالية والاقتصادية الهائلة التى تقدمها المملكة العربية السعودية إلى اليمن بغير مقابل .

وبفضل الخبرات المصرية حيث يشترك آلاف من المدرسين والخبراء المصريين في صنع هذه الحضارة اليمنية الحديثة التي يدين بها الشعب اليمني لمصر العظيمة .

وهذا هو ما سيبقى في صدر التاريخ .. أما تجاوز القيادة المصرية دائرة مساعدة الشعب اليمني واتخاذها من هذه المهمة قاعدة للصراع مع المملكة العربية السعودية ... وإلغاء شخصية القيادة اليمنية .. وتسخير القدرات اليمنية المحدودة في معارك لا ناقة للشعب اليمني فيها ولا جمل !! فهذا هو التجاوز الذي يمكن أن يصبح محل مؤاخذة تاريخية .. رغم أن هذا يعتبر شيئاً صغيراً في حياة الشعوب !!

* * *

ويقول الأستاذ « يوسف الشريف » المحرر بمجلة روز اليوسف ومراسل المجلة في حرب اليمن : —

ولقد عشت وقائع الثورة اليمنية منذ اندلاعها في سبتمبر ١٩٦٧ — وأفخر بأنني واحد من طلائع الصحفيين الذين عاصروا وعاشوا معاركها في « بني مطر » و « بني حشيش » وطلان ومأرب والجوف وصعدة .

والذين يعرفون تاريخ الشعب اليمني يدركون ماله من فضل على الحضارة الإنسانية .. ودوره الباسل في الفتوحات الإسلامية التي اعتمدت بشكل أساسي على شجاعة وبذل المقاتل اليمني ... حتى أن « طارق بن زياد » عندما فتح الأندلس لم يجد علما يرفعه تتويجا للنصر سوى « شال » مجاهد يمني !!

وقد قضت الظروف بألا تنجح ثورات الشعب اليمني البطولية في

الأربعينات والخمسينات والستينات من هذا القرن ولم تستطيع اليمن التخلص من العزلة والانقراض!!

لقد آمنت ثورة ٢٣ يوليو بأن وحدة الثورة العربية لا تتجزء.. وأن إرادتها لاتقهر.. وأن مصر عندما تحارب فى اليمن أو الجزائر... فانها تحارب دفاعا عن نفسها وترابها وشرفها... فالمعركة واحدة... والثورة واحدة.. وإن تعددت جبهاتها!!

وعندما انسحبت القوات المصرية فى نهاية عام ١٩٦٧.. من أرض اليمن.. كانت قوى الثورة اليمنية الذاتية قدصلب عودها.. وفرضت «عدن» على الاستعمار البريطانى أن يرحل من شطر اليمن الجنوبى.. كما فرضت «صنعاء» على جحافل الاحتياطى البلى الرجعى الذى حاصرها على مدى سبعين يوما أن يرحل وأن يستسلم!!

ونحن قد نلتمس العذر لبعض أصحاب الأقلام الإنعزالية التى تكتب عن اليمن... وتصور دور مصر فى مؤازرة ثورتها على أنها «ورطة»!! لأنهم لم يكلفوا أنفسهم مشقة متابعة معارك ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢.. ولكن ما عذرهم الآن وقد حققت الثورة اليمنية انتصارها فى الشمال والجنوب معا... وكسبت للعروبة قوة كانت مطروحة دائما من قوتها وعادت تلعب دورها المعاصر والحيوى فى هذه المنطقة الاستراتيجية البالغة الأهمية؟!

* * *

جمال عبد الناصر
ونكسة ١٩٦٧ !!

ويقول السيد/ المستشار يوسف الغرياني في جريدة « الأخبار » بعنوان:- « خطاب مفتوح إلى .. كمال رفعت .. هل نسيت تراكمات ٢٠ عاماً »

١ – إن السبب الرئيسي في هذه المتاعب التي يعاني منها المواطنون .. هو .. تراكمات العشرين عاماً الماضية .. منذ حكم .. عبد الناصر .. وسياسة : – « لا صوت يعلو على صوت المعركة » . لأن هذا الشعار أدى إلى تعطيل الإصلاحات الداخلية مدة عشرين عاماً . وترك المرافق العامة دون صيانة أو إصلاح حتى استهلكت وأصبحت مهلهلة ومثال ذلك التليفونات والمواصلات والمجاري والمياه والنور وغيرها !!

٢ – ولأن معركة التحرير كان يجب أن تسير مع معركة « التعمير » جنباً إلى جنب ولكن العكس هو الذي حدث !! إذ إهتمت السياسة الناصرية بالتحرير فقط دون التعمير !!

وحتى « التحرير » لم يتم .. بل هزم عبد الناصر شر هزيمة في ست ساعات .. بسبب سوء تصرفه .. وسوء تخطيطه !! لأنه حرك الجيش بدون خطة موضوعة ! .. وبدون أخذ رأي المجلس الأعلى للقوات المسلحة .. والدليل

على ذلك . . كتاب « عملاء الخيانة والاستعمار » لصلاح نصر . . مدير مخابرات عبد الناصر !!

٣ — لأن عبد الناصر أضاع فى حرب ٦٧ مبلغ ١٦ ألف مليون جنيه .. وهو الرقم الرسمى الذى أعلنه الدكتور أحمد أبو إسماعيل وزير المالية السابق فى البرلمان « مجلس الشعب ».. وهذه الأموال المهدرة كان يمكن أن توجه إلى حل مشاكل الجماهير وإصلاح المرافق وصيانتها !! . .

٤ — دليل آخر على خطأ عبد الناصر فى حرب ٦٧ — وهو خطأ عسكرى جسيم هو اعترافه الذى أذاعه فى الراديو والتليفزيون عقب الهزيمة بأنه « كان ينتظر اليهود من الشرق فجاءوا من الغرب !! » .

ولا شك أن هذا خطأ جسيم واعتراف خطير لأن « القائد » المحنك يجب أن يعمل حساب جميع الاحتمالات المتوقعة .. وأن يضع الخطط والحلول والبدائل لها !!

٥ — إن « الناصرية » ليست أحد المذاهب الأربعة . . وليست قرآناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وإن عبد الناصر ليس نبياً ولا رسولاً !!

تراكمات كثيرة !!

وكتب الأستاذ / أحمد أبو الفتح يتحدث عن رأيه فى متاعب مصر الحالية ويقول أنها هى نتيجة تراكم أخطاء لا حصر لها تمت خلال الحكم السابق مثلا !!

١ — لولا هزيمة سنة ١٩٦٧ لما كان هناك حاجة هناك لخوض حرب سنة ١٩٧٣ التى كلفت مصر أموالاً طائلة ولولا هزيمة سنة ١٩٦٧ لما كان هناك ما يدعو إلى إعادة تعمير مدن القناه وهذه تكلفت وتتكلف أموالاً طائلة !!

لولا حرب ١٩٦٧ لما تعطلت الملاحة فى قناة السويس سبع سنوات ولما حرمت مصر من عايدات مرور السفن فى القناة !!

لولا حرب ١٩٦٧ لما حرمت مصر من آبار البترول فى سيناء لمدة ثمانى سنوات !!

هزيمة سنة ١٩٦٧ حرمتنا من دخل القناة ومن دخل آبار بترول سيناء

وفوق ذلك رتبت على مصر أعباء مالية ضخمة لإعادة تسليح الجيش وإعداده لحرب ١٩٧٣ وإعادة تعمير مدن القناة !!

٢ — سبق هزيمة ١٩٦٧ حروب كثيرة كلفت مصر أموالا طائلة كحرب اليمن التى استنفدت رصيد مصر من الذهب وحرب الكونغو بالإضافة إلى مغامرات ومؤامرات فى كثير من الدول !!

٣ — الاقتصاد يرتبك لكثرة القيود والتغيرات الجذرية فى البناء الإقتصادى !!

المغالاة فى التأميم — الحراسات — المصادرات !!

كل هذه الإجراءات جعلت رأس المال الخاص يمتنع عن خوض ميادين الإستثمار !!

تغليب أهل الثقة على أهل الخبرة أنزل بالإقتصاد والإنتاج ضربات مميتة !!

المغالاة فى تحديد الملكية الزراعية قد انتهى إلى تفتيت مساحات الأراضى بحيث أصبح من الصعب تنفيذ مشروعات زراعية على أسس حديثة !!

المشروعات الفجة التى خسرت فيها الدولة خسائر كبيرة !!

ربط الإقتصاد بكتلة واحدة من الدول مما أخضعه لنوع من التبعية الإقتصادية !!

العبث الذى تم بثروات البلاد من الكثير من أصحاب الثقة !!

كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى اضطراب إقتصادى عنيف !!

الإضطراب الإقتصادى لا تظهر آثاره فجأة .. التدهور لا يظهر آثاره وتضخمه إلا بعد بضع سنوات !!

* * *

شاهدت معركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣؟!
وسمعت عن نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟!

حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٦ . . ونكسة يونيو ١٩٦٧ موضوعان هامان صدر عن كل منهما المقالات الكثيرة فى الصحف والكتب المتعددة . .

ويسرنى هنا أن أقدم ولدى المقاتل (على) الذى كان له شرف المشاركة فى معركة العبور يتحدث عن ما رآه وشاهده فى هذا اليوم الخالد العظيم

* * *

كان يوماً تاريخياً مشهوداً تحقق فيه لمصر وللعروبة العزة والمجد . . والفخار والانتصار . . تأهبنا للقتال . . ولبينا نداء الوطن وكانت الفرحة تملأ قلوبنا . . وكل جندى لا يمكن أن يعبر عن شعوره وفرحه وسروره وكأنه ذاهب إلى عرس . . وأن هذا اليوم يوم زفافه السعيد . .

رأينا الله فى هذا اليوم . . ونحن نحارب وقلوبنا مملوءة أملا وتفاؤلا وإحساساً بالنصر وكان الله يمدنا بعونه ونصره . .

وكنا فى هذه المعركة الباسلة كلما أحرزنا نصراً ارتفعت أصواتنا بتكبير الله وحده . . كنا مع الله . . وكان الله معنا . . وقال الجميع ضباطاً وجنوداً :—

لا شك أن الله جل جلاله قد أرسل ملائكة وجنداً من عنده يؤازروننا ويحاربون معنا . .

كان كل جندى منا يحارب فى هذه المعركة وأمنيته أن يموت شهيداً .. وأن يخلد اسمه مع الشهداء الأبرار الذين هم « أحياء عند ربهم يرزقون » .

وكان شعارنا جميعاً الموت أو النصر .. حتى تحقق هذا النصر بإذن الله.. وحطمنا خط بارليف المنيع !! وهزمنا الجيش الإسرائيلى المغرور الغاشم .. وقضينا على تلك الأسطورة الخرافية القائلة بأن جيش اسرائيل لا يقهر !!

* * *

ثم بعد ذلك وبعد انتهاء هذه المعركة الأسطورة أعود أفكر فى نكسة ١٩٦٧ .. فيملأنى الحزن والأسى والحسرة وأتساءل :— كيف حدث ذلك ؟! وكيف هزمنا ؟! وقد عشت معركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وشاهدت اخوانى الضباط والجنود بقوتهم وشجاعتهم وجرأتهم واستبسالهم يحاربون ويدافعون عن أوطانهم .. وكأنهم الأسود يدافعون عن عرينهم !!

* * *

سمعت عن نكسة ١٩٦٧ فكنت أتساءل بين الدهشة والعجب؟! كيف حدث هذا ؟!

فكنت أقرأ كل ما كتبه الكتاب والصحفيون عن هذه النكسة حتى عثرت أخيراً عن السبب وقد كتبه أديب صحفى وكاتب صوفى يتحدث كثيراً عن التصوف والإسلام وأنبياء الله .. وكأنه كان يكتب ما كتبه بتوفيق والهام من الله ..

قرأت للأستاذ أحمد بهجت في مجلة الإذاعة والتليفزيون بعنوان «تأملات في الحرية والحب» يقول . .

وقعت هزيمة يونيو . . وكان حجم الهزيمة أكبر من قدرة الأعين على حبس الدموع وتكشفت آلاف الأشياء بعد الهزيمة . . وإذا كانوا يقولون في الآثار . . رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا فنحن نقول . . رحم الله هزيمة يونيو العسكرية فقد أهدت إلينا كل عيوبنا دفعة واحدة في لحظة من لحظات الصدق التاريخي النادر . . اكتشف المصريون أنهم يعانون من غياب أمرين : — « الحرية والحب »

وامتلأ المكانان الشاغران بالحزن والمرارة ! !

ومن الغريب أن هناك أموراً تبدو بلا قيمة . . تبدو قليلة الأثر في حياة الشعوب . . ولكنها في اللحظات الحاسمة تكشف عن أهمية بالغة الخطر !! أهمية تصل إلى حد كبير ترجح كفة الميزان لصالح الشعب أو ضد مصالحه !!

لم نزل نتحدث عن . . الحرية والحب ؟ ؟

حين بدأت الثورة رفعت شعار الحرية . . ولكن مراكز القوى استطاعت أن تنشأ وتحتل مناطق متقدمة في الثورة بحجة حمايتها من العدو ! !

ونحن لا ننكر وجود أعداء أقوياء للثورة ولكن أسلوب الحماية الذي كان مبالغاً فيه إلى الحد الذي صار فيه الحارس هو العدو الأصلي ! !

بدأ الشعب المصري يحس بالغربة ويحلم بالخروج من مصر . . وكانت هناك « نكتة » تعبر عن احساس المصريين السائد يومئذ « نكتة تقول »

إن أبا الهول بعد استعراض الصوت والضوء سئل عن الجائزة التي يريدها فقال : إنه لا يريد أكثر من تأشيرة خروج من مصر !!

وهكذا تحولت مصر بفضل مراكز القوى إلى شيء يشبه السجن !!

وانتحر الحب بين الناس حين حطمهم الخوف وفقد الناس أنفسهم حين فقدوا حريتهم !!

نحن نعرف أنه حين يكون الإنسان شقياً حزيناً مسكوناً بالكآبة والخوف من داخله يستحيل عليه أن يهزم عدواً من الخارج !!

كانت صورة مصر الثورة كلها مهددة بالضياع .. وكانت سفينة مصر كلها مهددة بالغرق !!

ومضت أيام ومضى أنور السادات يحطم قيود المصريين قيداً بعد قيد ..

كان رفع الرقابة عن الصحف بمثابة رد شرف إلى الكلمة .. وكان قراره بعودة القضاء يعني إعادة الكرامة إلى العدل .. وكان تفريغ المعتقلات من النزلاء وإغلاقها بمثابة إعادة الإنسان إلى إنسانيته ..

أخيراً عثرت مصر على نفسها !!

وحين تعثر الأمم على ذاتها لا يقف أمامها عائق سواء أن يكون ذلك العائق مائياً مثل قناة السويس .. أو عسكرياً مثل خط بارليف !!

نكسة ٦٧ وأسبابها ؟!

ويتحدث الأستاذ الدكتور إبراهيم عبده عن « نكسة ٦٧ وأسبابها » فى كتابه . . . « رسائل من نفاقستان ! ! »

وقد أشار إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسم « المير » ! !

. . .

لم يوفق « المير » الخطير فى اختيار الرجال !!

لم يختر الوظائف الكبيرة إلا لأهل الثقة، ولا يشترط لمن استوظفوه من أهل الثقة ان يكون ملماً بالوظيفه ، أو عارفا خباياها ، أو دارساً لشئونها ، وهو يؤخذ أحياناً من عمله الملم به ، العارف أصوله الدارس أموره ، إلى الوظيفة الجديدة التى يجهلها !!

تخيل ضابطاً عظيماً فى شئون الصواريخ قد عين رئيساً لمؤسسة الأحذية ؟ ؟ ؟

وقس على هذا المثل مائة مثال ؟ ! !

وإنك لترى الضباط العظام فى مؤسسات المطاحن والمضارب . . . والزبد والكسب . . . والأسماك والألبان . . . والبيض والدجاج . . . والفلفل والكمون ! !

وانهم لفى كل مكان ، حتى لتحس بهم إذا بلعت الريق أو استنشقت الهواء !!

ولكى أكون عادلا ومنصفاً فان جماعة منهم برزت فى هذه الميادين الجديدة عليهم تحدوهم خطى التوفيق والنجاح ، ولكنهم كانوا فى مواقعهم الأولى أعلاماً

وأهلة ، وجدار لوطنهم وقت الضيق والشده ، غير أنهم أهل الثقة ، والنظام فى حاجة إلى أهل الثقة ! ! وان كان الوطن قد تشأم . ووباهم ، حتى إذا جد الجد وجد قيمة درعه الذى يحميه من الكوارث والنكبات . .

وهنا المأساه .. إذا تطلع زملاء لهم إلى مثل هذه الوظائف لتتضاعف رواتبهم مرات ومرات ، فشغلوا بالسعى وراءها، فلما دعا الداعى إلى منازلة العدو المغير خاض الجيش معركته ونصف ضباطه فى غير مواقعهم . ونصفهم الآخر مشغول وراء مواقع لا علاقة لها بالضرب والنزال !!

وهكذا خسرت نفاقستان معركة الحرب، وخسرت بأهل الثقة معركة السلام!!

لقد كان فى مقدرة « المير » الساحر الخطير ان يعيد سيره بوذا فى القرن العشرين ولكن بطانة السوء ، وحوارى الظلام ، ومراكز القوى الباغية الطاغية ، أرادته غير ما كان يريده أمثالنا من عامة الناس ! !

ثم ماذا ؟؟

إذا خسر المير العظيم الحرب بعد عشر سنوات من «الهزيمة المنتصرة» وكان حجم الكارثة فى هذه المرة أكبر من الدعاية وأقوى من الدعاة ، أجهضت أغانى النصر ساعة مولدها ، وساد الأسى جميع النفوس ، وباتت الحسرة على الوجوه فى الشوارع والبيوت!!

ثم يظهر « المير » فى المرئيات يعلن فى شجاعة منقطعة النظير ، مسؤوليته وحده عن الكارثة التى حلت ببلاده وانتهت إلى هزيمة لم تعرفها نفاقستان من آلاف السنين ، ثم يقرر إستقالته فى نغم أجرى الدمع فى مآقينا ، فقد بدا كالأسد الجريح لا يملك من نفسه شيئاً، وكان خصومه أشد الناس بكاء وأكثرهم ألما ، ذلك لأنه

« المير » كان بيننا كرب الأسرة الذى قسا على بعض أبنائه . وانهم — من قسا عليهم — فان فى اهانته وهوانه عارا يلحق بالأسرة جميعاً !!

* * *

وفجأة هرعت الأمة كلها تطالب ببقاء « المير » فى موقعه « ومضت تهتف بحياته » وتتغنى بآثره وإمجاده » وتسبح بحمده زلفا من تلك الليلة العاصفة بغارات العدو حتى إذا طلع النهار كان المير هو وحده المنتصر بين شعبه المهزوم !!

ان الرجل الذى إنتصر وسط شعبه المهزوم لم يواجه فى الحق نصراً فى حياته مثل هذا النصر يوم انتكس جيشه بسوء القيادة أو تعدد الرياسات وتضاربها فى الميدان أو وقوع بعض الخيانات من الصغار والكبار على السواء!!

* * *

إن عشرات الألوف من أبناء الشعب الذين فقدوا حياتهم فى الميدان وتخريب المدن الزاهرة ، وإغراق البلاد فى الديون ، كل ذلك لم يجىء بالنصر الذى عاشه « المير » واضفاه عليه شعبه فى إصرار لا يمكن أن يجىء كله بتنظيم وتدبير !!

* * *

ثم بلغ النفاق ذروته حين وقف محافظ الجنوب يوما يعلن إن « المير » نبى أتى بما لم تأت بعد الرسل والانبياء من قبل !! وكان المحافظ يخطب فى عدة آلاف من المواطنين إحتفالا بزيارة المير « الساحر » فهمهم المستمعون مستغفرين من هذا الإلحاد فى بلد يقال أنه منارة الدين . ونظر الناس إلى وجه « المير » فرأوا امتعاضة وحرة كست هذا الوجه الكريم ، وتوقعوا مصيراً سيئاً لهذا الملحد الذى أعلى من قدر « المير » ووضعه فوق أقدار النبيين . .

وتم عقاب المحافظ بعد أيام فرقى محافظاً لعاصمة نفاقستان ؟ . .

ربما كان المحافظ الذى استهل نشاطه فى العاصمة بأن منح القانون أجازة . ربما كان الرجل فيما قال متأثرا بكتاب كارليل عن البطولة وأصحابها ولم يكن يعنى الا هذا اللون من عبادة الابطال !!

نكسة ٥ يونيو لا تعيب عبد الناصر !!

« إنما هى قضاء وقدر »

ويقول الأستاذ عبد المعطى المعزاوى :—

إنى لأعجب !! وأى عجب !! من الذين يدعون على الزعيم الراحل جمال عبد الناصر إدعاءات باطلة . . ويتهمونه باتهامات هو منها برىء !! فلقد أنقذهم من الاستعمار والملكية ومن الاقطاعيين والرأسماليين الذين كانوا يتحكمون فى مصائر الناس . . ورفع مستوى الفلاح والأجير والعامل فصاروا أحراراً بعد أن كانوا خدما وعبيداً . .

من هو صاحب الإصلاح الزراعى ؟ . . من مؤمم القناة ؟ . . من الذى بنى السد العالى ؟ . . من الذى أنشأ المصانع ؟ . . ومن . . ومن . . الخ . .

من الذى أيقظ الروح العربية وحررها من الاستعمار ؟؟ كل هذا من صنع الزعيم الراحل . . ولقد كان يجاهد ويكافح من أجل تحقيق القومية العربية . . ولكن شخصيته النفاذة ووطنيته الوقادة جعلت بعض الدول تحقد عليه وتخشى بأسه !!

وكان الزعيم الراحل يواجه أعداء كثيرين فى بدء قيام الثورة . . شأن كل ثورة جديدة تريد أن تغير فساد الماضى . . فكان أذناب الاستعمار

والاقطاع والرأسمالية . . وبعض رؤساء الدول العربية التى كانت تتوهم أن ثورته ستغير من سياستها ونظام حكمها !!

وكذلك الدول العربية التى كان يتحداها لأنها كانت تناهض الثورة وتعمل على إجهاضها !!

كان هؤلاء جميعاً يحاربون شخصية جمال عبد الناصر لأنهم يعتقدون أن فى بقاء الثورة قضاء عليهم !!

وما كانت نكسة ٦٧ تعيب جمال عبد الناصر . . وإنما هى . . قضاء وقدر . . لتكون طريق النصر الذى أحرزناه فى معركة العبور . . والمسلمون هزموا فى « غزوة أحد » . . لأن الرماة خالفوا أمر النبى ﷺ . . وتركوا أماكنهم . . فكانت الهزيمة رغم أنهم كانوا منتصرين فى أول المعركة !!

إن جمال عبد الناصر كان خادماً للشعب يؤثره بحبه . . وكذلك كان الشعب يحبه وتابعاً له . . فلقد قام الشعب جميعه فى يومى ٩ و ١٠ يونيو يؤيده ويتمسك به رئيساً للجمهورية . . وكفى أنه استشهد وهو فى طريقه لتوحيد الدول العربية . . وأن الذين يريدون أن يسيئوا إلى جمال عبد الناصر . . هم الحاقدون الذين استبعدوا واعتقلوا لتظل الثورة باقية تؤدى رسالتها وتحقق أهدافها . .

وأنه ليحضرنى كلمة السيد الرئيس « محمد أنور السادات » حينما كان يقدم الزعيم الراحل لإلقاء خطابه للشعب :— « أقدم إليكم زعيمنا وحبيبنا جمال عبد الناصر » . . وأن اختياره للرئيس السادات لدليل على صدق وطنيته . . وقوة فراسته . . وبعد نظره حيث حقق لمصر النصر الذى كان يرجوه الزعيم الراحل وينشده . .

أجمل صورة لجمال عبد الناصر

ويتحدث الأديب « عاطف حسنى » . . عضو (جماعة الأدباء) . . تحت هذا العنوان الطريف فيقول : —

للرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » صورتان صورة جميلة لدى أنصاره . . وصورة مشوهة لدى خصومه . .

ونحن شباب ثورة ٢٣ يوليو انطبعت فى أذهاننا صور جميلة للزعيم جمال عبد الناصر وغيره من الزعماء الذين سمعنا وقرأنا عن تاريخهم ولم نسعد برؤيتهم أمثـــال . . أحمد عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومصطفى النحاس .

ولكن الرئيس جمال عبد الناصر عاصرناه ورأيناه . . وسمعنا صوته فى خطبه الوطنية الحماسية التى كانت تلهب أيدينا بالتصفيق . . وتبح حناجرنا من الهتاف له . . وخاصة وقد رأينا الكثير من إنجازاته الثورية الإيجابية . . كطرد الملك السابق فاروق ، وتأميم القناة . . وبناء السد العالى .

وبعد وفاته رأينا السيل الجارف من النقد الشديد له فى الصحف والكتب !! وقد حاول الكثيرون من الكتاب أن يشوهوا هذه الصورة الجميلة التى انطبعت فى أذهاننا عن القائد العظيم جمال عبد الناصر .

وكنا نحن الشباب . . شباب الثورة . . لا نحب قراءة هـــذه المقالات والكتب . . وإذا قرأها أحدنا . . فأنه بعد الانتهاء من قراءتها يتهم كاتب هذا النقد بأنه . . إما حاقد أو حاسد ! !

ومن أجمل الصور التى رأيتها للزعيم جمال عبد الناصر صورة رسمها بقلمه .. كاتب قدير وشاعر مبدع .. هو المرحوم الأستاذ / صالح جودت .. وقد رثاه بقصيدة من شعره .. فكانت هذه القصيدة كرسم جميل وصورة رائعة .. أرى فى نشرها تحية لذكرى الراحلين الكريمين جمال عبد الناصر وصالح جودت .

وإيمانا بهذه الحكمة القائلة «أذكروا محاسن موتاكم» .

* * *

أمع الاسراء نادته السماء	كدت أن أحسبه فى الأنبياء
كدت أن أسمع فى موكبه	نغم الأملاك يعلو بالدعاء
كدت أن ألمح فى معراجه	طيف جبريل يحيى الشهداء
قلت والجثمان يعلو فى السماء	أنه حيا وميتا فى علاه
وتمثلت «مسيحا» صاعدا	إنما كان مسيح الزعماء
يحمل الآلام عنهم ويرى	أنه الفادى إذا عز الفداء
كان لا ينطق فينا عن هوى	أو يقول القول للناس هراء
كان كالأهرام مجدا وعلا	كان كالنيل انطلاقا ووفاء
كان كالسد شموخا وندى	كان كالزهر صفاء ونقاء

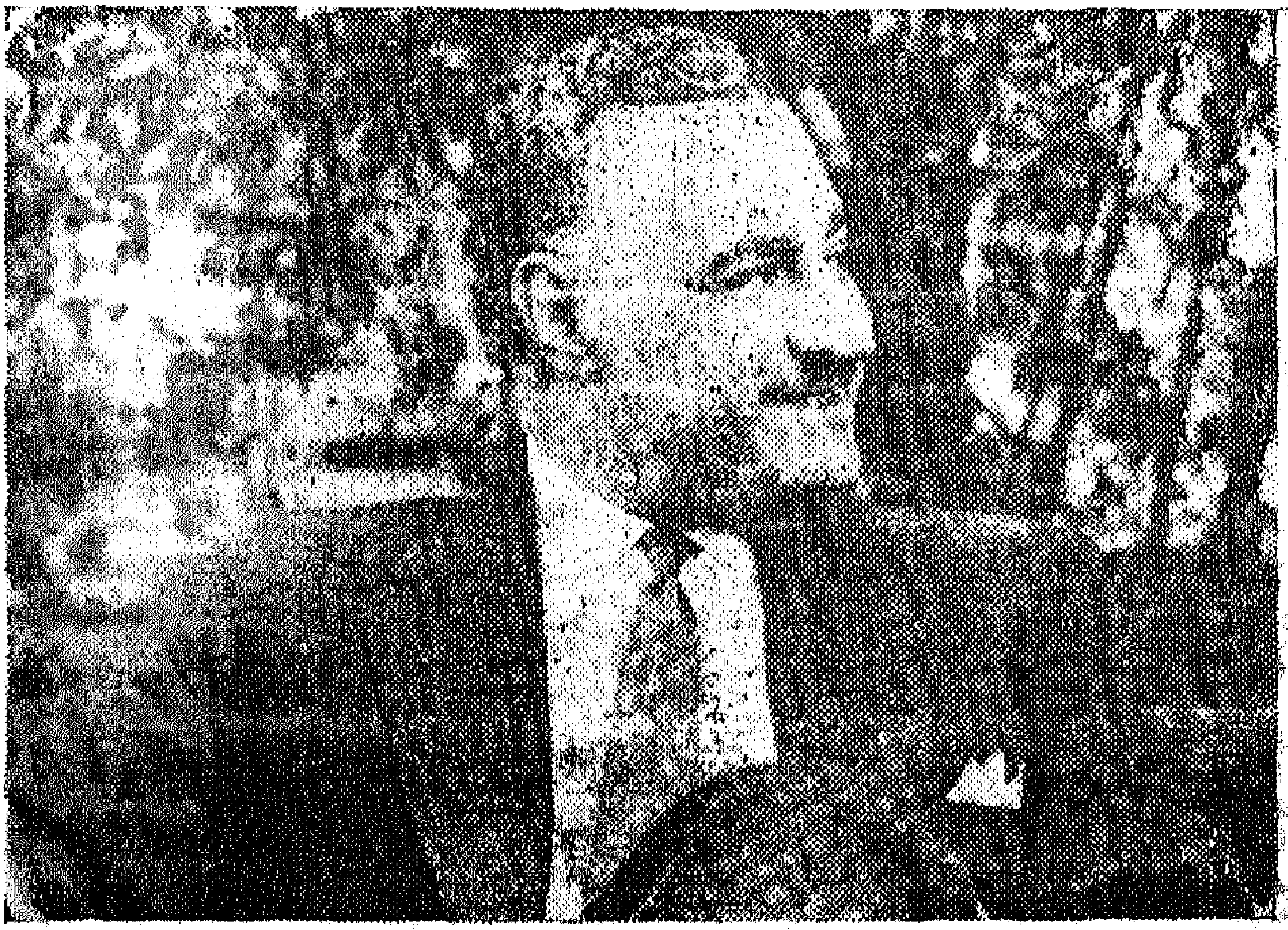

صورة تذكارية للرئيس الراحل جمال عبد الناصر

صورة عائلية للرئيس الراحل جمال عبد الناصر

عبد الناصر والتاريخ

ومن كلمات الأديب الناقد الاستاذ أحمد يسرى

لا شك أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد غير مسار التاريخ فى مصر . . تاريخ مصر منذ مئات السنين

ولا شك أيضاً أن هذه الشخصية الفذة كانت وستكون مثار جدل ونقاش بين أعلام الفكر والسياسة من الباحثين والمؤرخين . .

وبعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر نشط الكثير من الكتاب والنقاد فكتبوا المقالات وأصدروا الكتب عن عبد الناصر . . فمنها المملوء بالمحبة والوفاء . . ومنها المملوء بالكراهية والعداء .

وكان القارىء يدرك أن هذه المقالات وهذه الكتب جميعها انما كتبت بدافع من أغراض وأهواء شخصية ذاتية !!

والمؤرخ والناقد للأحداث التاريخية . . والشخصيات اللامعة مهمته هى مهمة صعبة وشاقة . . تحتاج إلى البحث والدراسة . . والدقة والتمحيص .

وتحتاج أيضاً أن يكون المؤرخ أو الناقد غزير المادة قوى الحجة . . واسع الاطلاع .. بعيد كل البعد عن بواعث المجاملة والمحاباة .. أو الضغائن والاحقاد !!

وإذا كان الكتاب كما يقال . . يقرأ من عنوانه . فلقد أتاح لى الصديق الأديب محمود على حسن السودانى فرصة الاطلاع على الكثير من صفحات هذا الكتاب . . « جمال عبد الناصر بين خصوم وأنصار » . . فوجدت الكلمة الحقة الصادقة التى تعبر عن الحق والصدق .. وتذكر المحاسن والمساوىء . . وبذل الجهد الكثير ليكون كتابه هذا مرآة صادقة للتاريخ.. لهذا الجيل والاجيال القادمة .

كلمة الختام

كلمة الختام هـذه فى الحقيقة كانت « مقدمة » لهذا الـكتاب .. للأستاذ الدكتور زكى أحمد عمارة من علماء الأزهر وخريج « السوربون لولا أنها جاءت متأخرة وقد تم طبع الـكثير من صفحات هذا الـكتاب ولهذا رأيت أن أختتم بها كتابى هذا .. لتـكون « مسك الختام » .

* * *

بعد أن قضى الرجل نحبه ، وسكت ذلك الصوت المدوى ، وفى ظلال الحرية المطلقة التى نعمت فيها البلاد بحكم السادات .. وانطلق النقاد من عقالهم فتناولت أقلامهم بالنقد الصريح تلك الفترة التى انقضت بنهاية حياة جمال عبد الناصر .

ومن الطبيعى أن يكون للرجل أنصاره الذين أحاطوه بسياج من القدسية وخصومه الذين ألبسوه رداء الجبروت !!

ومن هنا كان لابد أن يعمد كاتب حر منصف بوضع الأمر فى ميزانه السليم بين هؤلاء وهؤلاء فتظهر الحقيقة الناصعة المجردة من كل الشوائب وأن يمحو من الأذهان كل الظنون والريب .. فيضع الرجل فى حجمه الصحيح بما له وما عليه ؟ ؟

حتى تفضل الأديب والكاتب المبدع القدير الأستاذ محمود على حسن السودانى فحسم لنا الأمر بصورة منصفة أظهرت الحقيقة التاريخية واضحة جلية.

والأستاذ محمود السودانى ليس بغريب عن المكتبة العربية فطالما قدم لها العديد من مؤلفاته ونتاجه الأدبى الأصيل . . (الحان الكروان) . . و (من وحى العروبة) .

ومؤلفه هذا . . (عبد الناصر بين خصوم وأنصار) يعتبر من أجل أعماله التى توجت نشاطه الأدبى بأكليل من الفخار . . وهو بمثابة سجل حافل مركز يغنى القارىء عن الرجوع إلى مختلف المؤلفات والمصادر التى تناولت هذا الموضوع.

والكتاب كذلك يقدم لقارئه الرأى والفكرة فى اطار من المناقشات والحجج . . فيقف القارىء تلقائياً على الحقائق دون المزاعم والأباطيل .

والله نسأل أن يكلل ذلك العمل بالنجاح والفلاح فيأخذ طريقه إلى المكتبة العربية والمجتمعات الأدبية والفكرية .

والله المسئول أن يبلغنا المأمول ؟

د. زكى احمد عمارة

فهرست الكتاب

صفحة

المقدمة ٥
جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو ٩
جمال عبد الناصر ونزاهته ٢٣
جمال عبد الناصر بين الديمقراطية والديكتاتورية ٣٤
جمال عبد الناصر . هل أخلص لمن أخلصوا له ؟ ؟ ٥١
الجمعية السرية التي تحكم مصر ! ! ٧٣
جمال عبد الناصر الديمقراطي ٧٦
وزراء عملوا مع عبد الناصر يقولون ؟ ٧٩
مصطفى أمين وسنة أولى سجن ؟ ! ١٠١
حكايات عن مراكز القوى ؟ ! ١٠٥
حوار مع هدى عبد الناصر ١٢٦
مراكز القوى وثورة التصحيح ١٣١
في موكب النفاق ١٣٣
جمال عبد الناصر وحرب اليمن ! ! ١٣٧
جمال عبد الناصر ونكسة ٦٧ . . . . ١٤٥
شاهدت معركة ٦ أكتوبر ١٤٩
أجمل صورة لجمال عبد الناصر ١٥٨
عبد الناصر والتاريخ ١٦٢
كلمة الختام ١٦٣

المراجع .. والمصادر التاريخية للكتاب

١ — حوار وراء الأسوار — الأستاذ جلال الدين الحمامصي

٢ — عودة الوعي — الدكتور توفيق الحكيم

٣ — الصامتون يتكلمون — السادة : كمال الدين حسين ، عبد اللطيف البغدادي ، حسن ابراهيم

٤ — سنة أولى سجن — الأستاذ مصطفى أمين

٥ — حوار مع هدى عبد الناصر — الأستاذ محمود مراد

٦ — رسائل من نفاقستان — الدكتور ابراهيم عبده

٧ — مجلة روز اليوسف ، المصور ، الإذاعة والتليفزيون ، آخر ساعة ، الفجر القطرية

٨ — جريدة الأخبار ، التعاون

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

المطبعة الكمالية

٥٢ شارع على عبد اللطيف بعابدين

ت ٦٨٠٢

رقم الإيداع : ١٥٤٨ / ١٩٧٧

الترقيم الدولى ISBN ٩٧٧

لقد كان عبد الناصر طوال حياته كفائه وزعيم ... وظل بعد مماته محل جدل ونقاش شأن كل عظماء التاريخ ... شأن الذين كان عليهم أن يتصدوا لمهمات تاريخية ولقرارات مصيرية ...

والقائد عادة ملك للتاريخ ... وملك للناس ... وملك للمؤرخين والجدل والنقاش حول دور عبد الناصر فى حياة الأمة من حق هؤلاء جميعاً ... ولكننا لا نؤمن بالجدل القائم على الحقد ولا النقاش بروح من الضغينة !!

محمد أنور السادات

ليس جمال عبد الناصر بنبى من الأنبياء ... ولا إنساناً فوق مستوى البشر ... معصوماً من الزلل والأخطاء . كما يقول « الناصريون »

وليس جمال عبد الناصر بشيطان رجيم ومارد شرير كل أعماله شر ومساوىء وسيئات كما يقول الخصوم

وفى هذا الكتاب بيان ذلك بالأدلة والحجج والبراهين وبما يرضى الله والحق والضمير .

والله الموفق لما فيه الخير والرشد والصواب .

« ربنا آتنا من لدنك ر...
...وهىء لنا من أمرنا رشداً »

محمود على حسن ال...

الثمن ٥٠

053
71
Bibliotheca Alexandrina
0214634